جامعة الشارقة
ملتقى الحضارات

مجلة جامعة الشارقة

دورية علمية محكمة

للعلوم الشرعية والقانونية

المجلد 14 ، العدد 1
رمضان 1438 هـ / يونيو 2017 م

الترقيم الدولي المعياري للدوريات 2320-1996

المنهج النبوي في تعزيز السلوك الإيجابي تجاه البيئة

عادل عبدالرشيد عبدالرزاق

الهيئة العامة لحماية البيئة

عدن - اليمن

تاريخ الاستلام: 2016-03-17 **تاريخ القبول: 2016-10-06**

ملخص البحث:

بالاستناد لإحدى مصادر الشريعة الإسلامية وهي السنة النبوية، اختصت هذه الدراسة في إبراز المنهج النبوي في تعزيز السلوك الإيجابي تجاه البيئة ومكوناتها. خصص المبحث الأول من الدراسة في إعطاء صورة عامة عن اهتمام السنة النبوية بالبيئة والإلزام بحمايتها، بينما تناول المبحث الثاني وجود قواعد وأساليب تربوية في السنة النبوية يمكن استخدامها في تعزيز السلوك الإيجابي نحو البيئة ومكوناتها، وانصب اهتمام المبحث الأخير في إبراز الحسبة كنظام رقابي على السلوك تجاه البيئة.

الكلمات الدالة: البيئة، السلوك البيئي، التربية البيئية، السنة النبوية.

□□□□□□ □□□□□□□ 14-1.indd 148 8/24/17 8:34 AM

مقدمة:

يعاني العالم الإسلامي كغيره من بقاع العالم من مشكلات بيئية حادة ناجمة عن التعامل غير السليم والمفرط مع البيئة ومواردها. وما كان للمجتمعات الإسلامية أن تعاني من هذه المشكلات، لو لم تتجه نحو التقليد الأعمى لمثالب الحياة الغربية، واتبعت بدلاً عن ذلك هدى شريعتها السمحاء.

حيث نجد أن الشريعة الإسلامية تدعو إلى التعامل السليم مع البيئة بكل مكوناتها، بل ليس هناك من تشريعات أو أدبيات أو حتى قوانين بيئية يمكنها أن تضاهي شريعتنا فيما وصلت إليه في هذا المجال، فهي تطلب منا التعامل بأدبٍ جم مع عناصر البيئة، فلا يجوز لنا حتى أن نسبها، فيما تطلب منا أن نحسن إليها، ونتحسس آلامها، وأكثر من ذلك إنها تدفعنا إلى أن نحبها وأن نشعر بأنها تحبنا.

وفي هذا الإطار، وبالاستناد لإحدى مصادر الشريعة الإسلامية وهي السنة النبوية، تختص دراستنا هنا في إبراز معالم المنهج النبوي في تعزيز السلوك الإيجابي تجاه البيئة ومكوناتها. وتأتي الدراسة لتدعو إلى إعادة الاستفادة من هذا المنهج النبوي في الواقع المعاصر، وخاصة إننا في عصرنا هذا في أحوج الحاجة إليه مع استفحال المشكلات البيئية.

وتتكون الدراسة من ثلاثة مباحث، خصص المبحث الأول لإعطاء صورة عامة عن اهتمام السنة النبوية بالبيئة والإلزام بحمايتها، بينما تناول المبحث الثاني وجود قواعد وأساليب تربوية في السنة النبوية يمكن استخدامها في تعزيز السلوك الإيجابي نحو البيئة ومكوناتها، وانصب اهتمام المبحث الأخير في إبراز الحسبة كنظام رقابي على السلوك تجاه البيئة.

المبحث الأول: اهتمام السنة النبوية بالبيئة والإلزام بحمايتها

يتطرق هذا المبحث أولاً للمفهوم العام للبيئة وحمايتها، ثم يعرض تباعاً نماذج من منهيات ومأمورات في السنة النبوية ذات علاقة بحماية البيئة، ونماذج لإسنادات من السنة النبوية داعمة للقضايا والاهتمامات البيئية الحديثة، واخيراً يتم تناول اهتمام السنة النبوية بجانب الحفاظ على النظافة الشخصية والصحية، وذلك على اعتبار ان الالتزام بالسلوك الإيجابي تجاه حماية البيئة يبدأ أولاً بالحفاظ على النظافة الشخصية والصحية.

أولاً: مفهوم البيئة وحمايتها:

«البيئة» لفظة شائعة الاستخدام وترتبط مدلولاتها بنمط العلاقة بينها وبين مستخدمها. فرحم الأم بيئة الإنسان الأولى، والبيت بيئة، والمدرسة بيئة، والحي بيئة، والبلد بيئة، والكرة الأرضية بيئة، والكون كله بيئة. ويمكن أن ننظر إلى البيئة من خلال النشاطات البشرية المختلفة، فنقول: البيئة الزراعية، والبيئة الصناعية، والبيئة الثقافية، والبيئة الصحية. وهناك البيئة الاجتماعية، والبيئة الروحية، والبيئة السياسية[1].

(1) رشيد الحمد ومحمد صباريني، البيئة ومشكلاتها، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت،ط2، 1984، ص14.

14-1.indd 149 8/24/17 8:34 AM

والبيئة بمفهومها العام هي الوسيط أو المجال المكاني الذي يعيش فيه الإنسان مؤثراً ومتأثراً، وهذا الوسط قد يتسع ليشمل منطقة كبيرة جداً، وقد يضيق ليتكون من منطقة صغيرة جداً، قد لا تتعدى رقعة البيت الذي يسكن فيه [1]. كما تعرف البيئة بأنها الإطار الذي يعيش فيه الإنسان ويحصل منه على مقومات حياته، من غذاء وكساء ودواء ومأوى، ويمارس فيه علاقاته مع أقرانه من بني البشر[2].

ونجد لمصطلح (البيئة) اشتقاقات في القرآن الكريم، منها قوله سبحانه تعالى: {وَاذْكُرُواْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاء مِن بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُوراً وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتاً فَاذْكُرُواْ آلاء اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ }[3] ، وقوله تعالى: {وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ }[4]، وهذه الاشتقاقات أصلها الفعل الثلاثي (بوّأ) بمعنى أنزل وأقام، فنقول (يتبوأ) أي يتخذ منزلاً، و (بوأت الرجل منزلا) أي هيأته ومكنت له فيه، ومن ثم فإن البيئة من حيث اشتقاقها اللغوي هي المنزل أو المكان الذي يعيش فيه الإنسان والذي فيه مستقره ومقامه.

فيما يقصد بحماية البيئة المحافظة على مكوناتها وخواصها وتوازنها الطبيعي ومنع التلوث أو الإقلال منه أو مكافحته، والحفاظ على الموارد الطبيعية وترشيد استهلاكها وحماية الكائنات الحية التي تعيش فيها، خاصة المهددة بالانقراض، والعمل على تنمية كل تلك المكونات والارتقاء بها[5]. وفي تعريف أخر يعرف بأنه مجموعة القواعد والنظم والإجراءات التي تكفل منع التلوث- التخفيف من حدته أو مكافحته - والمحافظة على البيئة وإعادة تأهيل المناطق التي تدهورت بسبب الممارسات الضارة وإقامة المحميات البرية والبحرية وتحديد مناطق عازلة حول مصادر التلوث الثابتة ومنع التصرفات الضارة أو المدمرة للبيئة وتشجيع أنماط السلوك الإيجابي[6].

ولعل من ضمن أهم مهام حماية البيئة هو منع الضرر البيئي، وهو الذي يعرف بأنه الأذى الذي يلحق بالبيئة ويؤثر بشكل مباشر أو غير مباشر في خصائصها الطبيعية والعضوية، أو يؤثر في وظيفتها فيقلل من قدرتها أو يفقدها هذه القدرة[7].

---

(1) زين الدين عبد المقصود، البيئة والإنسان، علاقات ومشكلات، القاهرة، دار عطوة، 1981.

(2) رشيد الحمد ومحمد صباريني، البيئة ومشكلاتها، مصدر سابق، ص 24 - 25.

(3) الأعراف 74.

(4) يوسف 56.

(5) القانون الاتحادي بشأن حماية البيئة وتنميتها(1999)، المادة الأولى (تعاريف).

(6) النظام العام للبيئة لمجلس التعاون لدول الخليج العربية (1421ه)، المادة الثانية (تعاريف).

(7) قانون حماية البيئة اليمني (2005)، المادة الثانية - فقرة 10.

14-1.indd 150 8/24/17 8:34 AM

وتشكل التربية البيئية أحد الأدوات أو الأساليب المهمة في مجال حماية البيئة، والتي تهدف إلى تغيير سلوك الأفراد ليكون إيجابياً تجاه البيئة. وتعرف التربية البيئية بأنها ذلك النمط من التربية الذي يهدف إلى تكوين جيل واعي ومهتم بالبيئة وبالمشكلات المرتبطة بها، ولديه من المعارف والقدرات العقلية والشعور بالالتزام، ما يتيح له أن يمارس فردياً وجماعياً حل المشكلات القائمة، وأن يحول بينها وبين العودة إلى الظهور[1].

ويجدر بالذكر هنا، أن الدين الإسلامي اهتم بالبيئة وعدم الإضرار بها، بل وألزمت شريعته بحمايتها والمحافظة عليها وتنميتها. فوفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية، تعتبر حماية البيئة ومواردها والمحافظة عليها وتنميتها واجباً دينياً شخصياً، يجب أن يلتزم به كل فرد مسلم، بموجب مسؤوليته الفردية عن رعاية نفسه ومجتمعه تجاه ربه[2]. كما أن هذا الدين احتوى على جوانب متعلقة بالتربية البيئية، وهو ما سيتم تناوله في المبحث التالي بالتركيز على السنة النبوية.

ثانياً: نماذج من السنة النبوية لمنهيات ومأمورات ذات علاقة بحماية البيئة:

اشتملت السنة النبوية على منهيات ومأمورات عديدة ذات علاقة بحماية البيئة، تعد بمنزلة نصوص قانونية بيئية، إلا أنها تتميز عن نصوص القوانين البيئية الوضعية، باكتسابها صفة الإلزام الديني المرتبط بالأجر والعقاب في الآخرة. ومن نماذج المجالات التي اشتملتها هذه المنهيات والمأمورات الآتي:

1. نظافة الماء وتنظيم استخدامه:

من أمثلة الأحاديث النبوية الواردة بهذا الصدد الآتي:

- (اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَ الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ وَالظِّلِّ وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ)[3].
- (لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ ثُمَّ يَتَوَضَّأُ مِنْهُ)[4].
- (عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الرَّاكِدِ)[5].
- (لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي مُسْتَحَمِّهِ ثُمَّ يَغْتَسِلُ فِيهِ)[6].

(1) إبراهيم عصمت مطاوع، التربية البيئية دراسة نظرية تطبيقية، ، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، 1986م، ص 14.

(2) الاتحاد الدولي لصون الطبيعة ومصلحة الأرصاد وحماية البيئة السعودية (1995)، ص 19.

(3) سنن ابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب النهي عن الخلاء على قارعة الطريق (رقم 328). (حسنه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته).

(4) مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، مسند أبي هريرة رضي الله عنه (رقم 7473). (صححه الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه لمسند أحمد).

(5) صحيح مسلم، كتاب الطهارة ، باب النهي عن البول في الماء الراكد (رقم 281).

(6) سنن أبي داود، كتاب الطهارة ، باب في البول في المستحم (رقم 27). (صححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود).

14-1.indd 151 8/24/17 8:34 AM

- (غَطُّوا الْإِنَاءَ وَأَوْكُوا السِّقَاءَ)[1].
- (الْمُسْلِمُونَ شُرَكَاءُ فِي ثَلَاثٍ فِي الْكَلَإِ وَالْمَاءِ وَالنَّارِ)[2].
- (نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ بَيْعِ فَضْلِ الْمَاءِ)[3].

من الملاحظ من هذه الأحاديث التي ذكرت أعلاه وغيرها ذات الصلة، أن السنة النبوية تنهي عن تلويث المياه، وإذا ذكر هنا البراز والبول كملوثات للماء، فقياساً على ذلك فإن كل أنواع الملوثات مثل الكيمائية وغيرها منهي عنها، لأن الغرض الشرعي والمصلحة المترتبة هنا هي الحفاظ على نقاء وطهارة الماء بحيث يكون صالحاً للاستخدام كما خلق له. ثم إن هناك أمراً بتغطية الإناء وتوكية السقاء كإجراء احترازي بالرغم أن مصدر التلوث غير ظاهر للعيان. كما نجد أن السنة النبوية تمنع احتكار الماء باعتبارها سلعة حياتية لا يمكن الاستغناء عنها.

2. النهي عن ايذاء الحيوانات:

من أمثلة الأحاديث النبوية الواردة بهذا الصدد الآتي:

- (عُذِّبتِ امرأةٌ في هِرَّةٍ سجنَتْها حتى ماتت. فدخلت فيها النارَ. لا هي أطعمَتْها وسقتْها، إذ هي حبستْها. ولا هي تركتْها تأكلُ من خشاشِ الأرضِ)[4].
- (مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَعِيرٍ قَدْ لَحِقَ ظَهْرُهُ بِبَطْنِهِ فَقَالَ اتَّقُوا اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ الْمُعْجَمَةِ فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً وَكُلُوهَا صَالِحَةً)[5].
- (لَا تَتَّخِذُوا شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا)[6].
- (نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ تُصْبَرَ الْبَهَائِمُ)[7].
- (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ)[8].

(1) صحيح مسلم، كتاب الأشربة، باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء (رقم 2014).

(2) سنن أبي داود، كتاب الإجارة، باب في منع الماء (رقم 3477). (صححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود).

(3) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب تحريم بيع فضل الماء الذي يكون بالفلاة (رقم 1565).

(4) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب تحريم قتل الهرة (رقم 2242).

(5) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب ما يؤمر به من القيام على الدواب والبهائم (رقم 2548). (صححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود).

(6) صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب النهي عن صبر البهائم (رقم 1957).

(7) صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان ، باب النهي عن صبر البهائم (رقم 1956).

(8) صحيح مسلم ،كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان ، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة (رقم 1955).

□□□□□□ □□□□□□□ 14-1.indd 152 8/24/17 8:34 AM

- (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَيْهِ حِمَارٌ قَدْ وُسِمَ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ لَعَنَ اللَّهُ الَّذِي وَسَمَهُ)[1].

من الملاحظ من هذه الأحاديث التي ذكرت أعلاه وغيرها ذات الصلة، أن السنة النبوية تلزم بوجوب الرفق بالحيوان والإحسان إليه، وتنهى عن ظلمه أو تعذيبه أو حبسه أو منعه الطعام أو الشراب. سواء كان الظلم بالضرب الشديد أو التجويع، أو بثقل الحمل أو تكليفه ما لا يستطيع من السير بسرعة فوق طاقته، أو اتخاذه غرضاً للرمي، أو تحريشه لقتال حيوان آخر، وغير ذلك.

يقصد بصبر البهائم: أن تحبس وهي حية لتقتل بالرمي ونحوه، وهو معنى: لا تتخذوا شيئا فيه الروح غرضا، فالمراد بالغرض الهدف.

وهنا نجد أن السنة النبوية قد سبقت جمعيات حقوق الحيوان التي ظهرت في الغرب، وتفوقت بشموليتها بالإحسان إلى الحيوان، فالإنسان الغربي مثلاً لا يهمه أن يقتل الحيوان بالصاعقة الكهربائية أو غيرها، بينما المسلم مأمور عند ذبح الحيوان بالإحسان إليه.

3. الحفاظ على نظافة الطريق:

من أمثلة الأحاديث النبوية الواردة بهذا الصدد الآتي:

- (الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أو بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ)[2] .
- (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ فَأَخَذَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ)[3].
- (اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَ الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ وَالظِّلِّ وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ)[4].
- (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ اتَّقُوا اللَّعَّانَيْنِ قَالُوا وَمَا اللَّعَّانَانِ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الَّذِي يَتَخَلَّى فِي طَرِيقِ النَّاسِ أو فِي ظِلِّهِمْ)[5].
- (عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِيَّاكُمْ وَالْجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا لَنَا بُدٌّ مِنْ مَجَالِسِنَا نَتَحَدَّثُ فِيهَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الْمَجْلِسَ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ قَالُوا وَمَا حَقُّهُ قَالَ غَضُّ الْبَصَرِ وَكَفُّ الْأَذَى وَرَدُّ السَّلَامِ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنْ الْمُنْكَرِ)[6]

---

(1) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن ضرب الحيوان في وجهه ووسمه فيه (رقم 2117).

(2) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان (رقم 35).

(3) صحيح البخاري، كتاب المظالم، باب من أخذ الغصن وما يؤذي الناس في الطريق فرمى به (رقم 2340).

(4) سنن ابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها، باب النهي عن الخلاء على قارعة الطريق (رقم 328). (سبق إخراجه).

(5) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب النهي عن التخلي في الطرق والظلال (رقم 269).

(6) صحيح مسلم، كتاب اللباس والزينة، باب النهي عن الجلوس في الطرقات وإعطاء الطريق حقه (رقم 2121).

14-1.indd 153 8/24/17 8:34 AM

- (عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الْأَذَى يُمَاطُ عَنْ الطَّرِيقِ وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِي أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لَا تُدْفَنُ)[1].
- (قُلْتُ يَا نَبِيَّ اللَّهِ عَلِّمْنِي شَيْئًا أَنْتَفِعُ بِهِ قَالَ اعْزِلْ الْأَذَى عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ)[2].

من الملاحظ من هذه الأحاديث التي ذكرت أعلاه وغيرها ذات الصلة، أن السنة النبوية تنهى المسلم من التسبب أو ترك أي أذى في الطريق، مهما كان نوع هذا الأذى ودرجته، فيما تدفعه إلى التطوع في إزالة أي أذى يصادفه في الطريق. أما ولي أمر المسلمين فإنه ملزم إلزاماً بإزالة كافة أنواع الأذى من الطريق.

4. مكافحة انتشار الأمراض والأوبئة:

من أمثلة الأحاديث النبوية الواردة بهذا الصدد الآتي:

- (لَا يُورِدَنَّ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ)[3].
- (إِذَا سَمِعْتُمْ بِالطَّاعُونِ بِأَرْضٍ فَلَا تَدْخُلُوهَا وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا)[4].
- (كَانَ فِي وَفْدِ ثَقِيفٍ رَجُلٌ مَجْذُومٌ فَأَرْسَلَ إليه النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّا قَدْ بَايَعْنَاكَ فَارْجِعْ)[5].
- (غَطُّوا الْإِنَاءَ وَأَوْكُوا السِّقَاءَ فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنْزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ لَا يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ أو سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وِكَاءٌ إِلَّا نَزَلَ فِيهِ مِنْ ذَلِكَ الْوَبَاءِ)[6].
- (نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ الشُّرْبِ مِنْ فَمِ الْقِرْبَةِ أو السِّقَاءِ)[7].

نجد من هذه الأحاديث التي ذكرت أعلاه وغيرها ذات الصلة، أن السنة النبوية قد سبقت تشريعات العالم في وضع قواعد الحجر الصحي لمنع انتشار الأوبئة. كما وضعت أسس منع نقل الجراثيم من شخص إلى آخر. فمثلاً نهت عن شرب الماء من فيّ السقاء، حتى لا يتم انتقال أي مرض من الفم إلى السقاء، وما يترتب على ذلك من نقل المرض إلى أشخاص آخرين يستخدمون نفس السقاء.

---

(1) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيره (رقم 553).

(2) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل إزالة الأذى عن الطريق (رقم 2618).

(3) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب لا هامة (رقم 5437).

(4) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون (رقم 5396).

(5) صحيح مسلم ، كتاب السلام ، باب اجتناب المجذوم ونحوه (رقم 2231).

(6) صحيح مسلم ، كتاب الأشربة ، باب الأمر بتغطية الإناء وإيكاء السقاء (رقم 2014).

(7) صحيح البخاري، كتاب الأشربة، باب الشرب من فم السقاء (رقم 5304).

□□□□□□ □□□□□□□ 14-1.indd 154 8/24/17 8:34 AM

5. منع التلوث الضوضائي:

من أمثلة الأحاديث النبوية الواردة بهذا الصدد الآتي:

- (بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ سَمِعَ جَلَبَةَ رِجَالٍ فَلَمَّا صَلَّى قَالَ مَا شَأْنُكُمْ قَالُوا اسْتَعْجَلْنَا إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ فَلَا تَفْعَلُوا إِذَا أَتَيْتُمْ الصَّلَاةَ فَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا)[1].
- (كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ)[2] واربعوا على أنفسكم اي ارفقوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم .

وقد رفض الرسول صلى الله عليه وسلم استخدام الأبواق في الآذان أو استخدام الطبول، واختار بلالاً للأذان لأن صوته كان رخيماً.

ثانياً: نماذج من الهدى النبوي داعمة للقضايا والاهتمامات البيئية الحديثة:

نجد أن للقضايا والاهتمامات البيئية الحديثة مثل الحفاظ على التنوع الإحيائي وتحقيق التنمية المستدامة، إسنادات داعمة لها في السنة النبوية، نوضحها فيما يلي:

1. الحفاظ على التنوع الإحيائي:

يقصد بالتنوع الإحيائي أو التنوع البيولوجي بالتعدد في أنواع الكائنات الحية وعددها والتباين بين هذه الأنواع، وكذلك الاختلافات بين أفراد النوع الواحد. إلا أنه مع هيمنة سيطرة الحضارة الغربية فقد تعرضت هذه الأنواع لخطر الإبادة والانقراض. ومن المؤسف أن الكثير من هذه الأنواع قد انقرض قبل أن يرصدها الإنسان ويتعرف عليها ويستفيد منها.

فيما نجد أن الرحمة المهداة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، قد وضع قواعد صارمة في الحفاظ على التنوع البيولوجي، نذكر منها كأمثلة:

أ. إذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أباح اصطياد الحيوانات لغرض أن تؤكل، إلا أنه نهى أن يتم اصطيادها عبثاً وظلماً. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (مَنْ قَتَلَ عُصْفُورًا فَمَا فَوْقَهَا بِغَيْرِ حَقِّهَا سَأَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَمَا حَقُّهَا قَالَ حَقُّهَا أَنْ تَذْبَحَهَا فَتَأْكُلَهَا وَلَا تَقْطَعْ رَأْسَهَا فَيُرْمَى بِهَا)[3].

ب. نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم يبيح استخدام جلود الشاة وما شابها، لأنها

(1) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب قول الرجل فاتتنا الصلاة (رقم 609).

(2) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب استحباب خفض الصوت بالذكر (رقم 2704).

(3) سنن النسائي، كتاب الضحايا، من قتل عصفورا بغير حقه (رقم 4445). (ضعفه الشيخ الالباني في ضعيف النسائي، الا انه حسنه بعد ذلك في صحيح الترغيب والترهيب).

14-1.indd 155 8/24/17 8:34 AM

أساساً تذبح لتؤكل. بل إن الرسول صلى الله عليه وسلم حث على الاستفادة من جلد شاة ميتة، جاء في الحديث النبوي: (تُصُدِّقَ عَلَى مَوْلَاةٍ لِمَيْمُونَةَ بِشَاةٍ فَمَاتَتْ فَمَرَّ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ هَلَّا أَخَذْتُمْ إِهَابَهَا فَدَبَغْتُمُوهُ فَانْتَفَعْتُمْ بِهِ فَقَالُوا إِنَّهَا مَيْتَةٌ فَقَالَ إِنَّمَا حَرُمَ أَكْلُهَا)[1]. أما بالنسبة للحيوانات كالأسد وما هو من فصيلته، والتي لا تؤكل، فقد جاء في حديث نبوي: (أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ جُلُودِ السِّبَاعِ أَنْ تُفْتَرَشَ)[2]. وهنا فقد أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم هذه الحيوانات حق الحياة والبقاء، فلماذا تقتل من أجل أن يستخدم جلودها كفراش؟.

ج. إن ما علّمنا القران الكريم من أن الكائنات الحية هي أمم من أمثالنا وهي تسجد لله. قد استخدمه الرسول صلى الله عليه وسلم منطلقاً للحفاظ على هذه الكائنات وخاصة من خطر إبادتها. فقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (لَوْلَا أَنَّ الْكِلَابَ أُمَّةٌ مِنْ الْأُمَمِ لَأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا فَاقْتُلُوا مِنْهَا الْأَسْوَدَ الْبَهِيمَ)[3]. يقول الامام الخطابي في شرح هذا الحديث في كتابه معالم السنن[4]: (معناه : أنه كره إفناء أمة من الأمم، وإعدام جيل من الخلق، حتى يأتي عليه كله، فلا يبقى منه باقية، لأنه ما من خلق لله تعالى إلا وفيه نوع من الحكمة وضرب من المصلحة). كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (قَرَصَتْ نَمْلَةٌ نَبِيًّا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ فَأَمَرَ بِقَرْيَةِ النَّمْلِ فَأُحْرِقَتْ فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ قَرَصَتْكَ نَمْلَةٌ أَحْرَقْتَ أُمَّةً مِنْ الْأُمَمِ تُسَبِّحُ)[5].

د. من حرص النبي صلى الله عليه وسلم في الحفاظ على حياة الحيوان، أنه نهى عن قتل حيوان (الضفدع) من أجل الوصول إلى شئ مفيد للإنسان وهو الدواء. فقد جاء في حديث نبوي: (أَنَّ طَبِيبًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ ضِفْدَعٍ يَجْعَلُهَا فِي دَوَاءٍ فَنَهَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَتْلِهَا)[6]. فإذا كان الدواء بمكن الحصول عليه من مصادر بديلة، فلماذا إذاً زهق روح هذا الحيوان؟.

ه. أولى النبي صلى الله عليه وسلم عناية خاصة بالأفراخ، الجيل الناشئ ورمز بقاء الحيوان. جاء في حديث نبوي: (كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ

(1) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب طهارة جلود الميتة بالدباغ (رقم 363).

(2) سنن الترمذي، كتاب اللباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في النهي عن جلود السباع (رقم 1771). (صححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي).

(3) سنن أبي داود، كتاب الصيد، باب في اتخاذ الكلب للصيد وغيره (رقم 2845). (صححه الشيخ الألباني في صحيح سنن أبي داود).

(4) الخطابي، معالم السنن (شرح سنن الإمام أبي داود)، المحقق محمد راغب الصحاح، المطبعة العلمية، حلب، الطبعة الأولى،1934م، ج 4، ص 289.

(5) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب إذا حرق المشرك المسلم هل يحرق (رقم 2856).

(6) سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في الأدوية المكروهة (رقم 3871). (صححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود).

□□□□□□ □□□□□□□ 14-1.indd 156 8/24/17 8:34 AM

فَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ فَرَأَيْنَا حُمَرَةً مَعَهَا فَرْخَانِ فَأَخَذْنَا فَرْخَيْهَا فَجَاءَتْ الْحُمَرَةُ فَجَعَلَتْ تَفْرِشُ فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ مَنْ فَجَعَ هَذِهِ بِوَلَدِهَا رُدُّوا وَلَدَهَا)[1].

و. حرص النبي صلى الله عليه وسلم أن يدرج كائنات حية بعينها في قائمة ضمان البقاء حيث نهى عن قتلها. فمن الأحاديث النبوية بهذا الشأن: (نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ كُلِّ ذِي نَابٍ مِنْ السِّبَاعِ وَعَنْ كُلِّ ذِي مِخْلَبٍ مِنْ الطَّيْرِ)[2]. (نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَتْلِ الصُّرَدِ وَالضِّفْدَعِ وَالنَّمْلَةِ وَالْهُدْهُدِ)[3]. الصرد كما جاء في المعجم الوسيط: هو طائر أكبر من العصفور ضخم الرأس والمنقار يصيد صغار الحشرات، وربما صاد العصفور، وكانوا يتشاءمون به.

ز. أعطى الرسول صلى الله عليه وسلم السباع والطيور وغيرها من الحيوانات حق الاستفادة مما يزرعه الإنسان، وبين أن في ذلك أجراً للإنسان في الآخرة. حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلَّا كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةً وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةٌ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ مِنْهُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ وَمَا أَكَلَتْ الطَّيْرُ فَهُوَ لَهُ صَدَقَةٌ وَلَا يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةٌ)[4].

ح. بخصوص الحفاظ على التنوع النباتي، نجد الرسول صلى الله عليه وسلم يحث على استزراع النباتات بشكل مستدام، فقد قال: (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا، فَلْيَغْرِسْهَا)[5]. بينما نهى عن قطع الأشجار ظلماً فقال صلى الله عليه وسلم: (مَنْ قَطَعَ سِدْرَةً صَوَّبَ اللَّهُ رَأْسَهُ فِي النَّارِ)[6]. والسدر (Ziziphus spina-christi) هو نوع من النباتات يتبع جنس الزفيزف من الفصيلة النبقية، وموطن شجرة السدر هو جزيرة العرب وبلاد الشام، وعموماً تنتشر زراعته في المناطق الاستوائية وشبه الاستوائية، وقد عرف الإنسان شجرة السدر منذ آلاف السنين.

كما أقر الرسول صلى الله عليه وسلم ما هو قائم على العدل من نظام الحمى الذي كان متبعاً في الجاهلية. وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَا حِمَى إِلَّا لِلَّهِ

(1) سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في كراهية حرق العدو بالنار (رقم 2675). (صححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود).

(2) صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب تحريم أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير (رقم 1934).

(3) سنن ابن ماجه، كتاب الصيد، باب ما ينهى عن قتله (رقم 3223). (صححه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه).

(4) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب فضل الغرس والزرع (رقم 1552).

(5) مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه (رقم 12569). (صححه الشيخ الألباني في صحيح الأدب المفرد).

(6) سنن أبي داود، أبواب النوم، باب في قطع السدر (رقم 5239). (صححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة).

14-1.indd 157 8/24/17 8:34 AM

وَلِرَسُولِهِ)[1]. والحمى موضع فيه كلأ يحمى من الناس أن يرعى. والأحمية مناطق تختارها القبائل أو أهل القرى ويحظرون الرعي فيها إلا ضمن شروط ووفق نظم خاصة، قد تختلف من مكان إلى أخر، طبقاً لما تقتضيه الظروف المحلية، وذلك بغرض توفير الكلأ والمراعي بصفة مستدامة[2].

ط. كما ساهم الرسول صلى الله عليه وسلم في حماية التنوع البيولوجي بشقيه النباتي والحيواني، من خلال إقراره مكة المكرمة والمدينة المنورة كمحميات طبيعية. ورد عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة: (أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ لَوْ رَأَيْتُ الظِّبَاءَ تَرْتَعُ بِالْمَدِينَةِ مَا ذَعَرْتُهَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا حَرَامٌ)[3].

2. تحقيق التنمية المستدامة:

تنامى في العقود الأخيرة اهتمام دول العالم بتحقيق التنمية المستدامة، وأصبحت الإسهام في تحقيق هذه التنمية هدفاً رئيساً للإدارة البيئية. وتعرف التنمية المستدامة بأنها التنمية التي تلبي حاجات الجيل الحاضر، دون أن تحد من قدرة الأجيال المقبلة في تلبية حاجاتهم[4]، فهي تدعونا أن نكون منصفين مع المستقبل، حيث تهدف إلى أن يترك الجيل الحالي للأجيال القادمة رصيداً من الموارد مماثلاً للرصيد الذي ورثه أو أفضل منه. وتهتم التنمية المستدامة بالقضاء على الفقر وبتحسين جودة الحياة، وتهتم بإشراك واستفادة كل أفراد المجتمع من خيرات التنمية، أي تحقيق العدالة بين أبناء الجيل نفسه، كما تهتم بالبعد البيئي بشكل خاص، وذلك مقارنة بالتنمية التقليدية.

وعلى الرغم من حداثة مصطلح (التنمية المستدامة) فإن مفهومه ليس بجديد على الإسلام والمسلمين. فقد حفل القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بالعديد من النصوص التي تمثل الركائز الأساسية للتنمية المستدامة، وتضع الضوابط التي تحكم علاقة الإنسان بالبيئة من أجل ضمان استمراريتها صالحة للحياة إلى أن يأتي أمر الله. ومن الأمثلة بهذا الصدد في السنة النبوية الآتي:

أ. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنِ اسْتَطَاعَ أَنْ لا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا، فَلْيَغْرِسْهَا)[5]. وليس هناك تحريض على الغرس إلى آخر

(1) صحيح البخاري، كتاب الشرب والمساقاة، باب لا حمى إلا لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم (رقم 2241).

(2) كمال الدين حسن البتانوني، المعارف التراثية في صحاري الوطن العربي، سلسلة عالم البيئة، رقم (5)، إصدار جائزة زايد الدولية للبيئة، دبي، 2006م. ص 120.

(3) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب فضل المدينة ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم فيها بالبركة وبيان تحريمها وتحريم صيدها (رقم 1372).

(4) اللجنة العالمية للبيئة والتنمية، مستقبلنا المشترك، سلسلة عالم المعرفة، رقم (142)، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989، ص 83.

(5) مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، مسند أنس بن مالك رضي الله عنه (رقم 15569). (سبق إخراجه).

14-1.indd 158 8/24/17 8:34 AM

رمق في حياة الإنسان أقوى من هذا الحديث، لأنه يدل على الطبيعة المنتجة والخيرة التي يجب أن يتحلى بها الإنسان المسلم. والعمل هنا يجب أن يؤدى لذات العمل، لأنه ضروري للقيام بحق خلافة الله في الأرض[1]. وفي هذا الحديث ما يحض المسلمين على العمل على استدامة التنمية دون التوقف، مهما كانت الأسباب، مما يجعل جيل الأبناء يستفيد من ثمار ما أنتجه جيل الآباء، والذي استفاد بدوره من جيل الأجداد.

ب. إن نظام الوقف الذي نشأ كنتيجة لحث النبي صلى الله عليه وسلم على الصدقة الجارية، يؤدي إلى تحقيق التنمية المستدامة. وذلك لكون أن الوقف مثله مثل التنمية المستدامة يقوم على آلية الاستدامة والربط بين الأجيال، وذلك عبر ضمانه أن تظل الأملاك الموقوفة مستغلة فيما عينت له، لا تُباع ولا تتعرض إلى الإتلاف بسبب شهوة عارضة أو سوء تصرف، وبالتالي تظل أملاك الوقف تنتقل من جيل إلى أخر، الكل ينتفع بها دون نقصان بل إنها تتزايد مع الزمن. إلا أن الوقف يتميز عن التنمية المستدامة بأنه كشعيرة دينية يمتلك قيمة روحية ويتمتع بحماية الدين والعرف.

وقد كان للوقف دور مميز في مجال حماية البيئة. فمثلاً نجد أن أموال الوقف قد استغلت في تعبيد الطرق داخل المدن وتنظيفها، واستثمرت أموال الأوقاف في توفير الرعاية الصحية للحيوانات والطيور المريضة، وهي ظاهرة لم يعرفها تاريخ العالم إلا في بلاد المسلمين، فقد أسهم نظام الوقف الإسلامي في تحقيق التنمية المستدامة وفي المحافظة على البيئة وأحيائها، الأمر الذي يمكن اعتباره بحق مفخرة من مفاخر حضارتنا الإسلامية[2].

وينبغي الإشارة أن من أوائل الأوقاف التي أنشئت في الإسلام في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كانت أوقافاً ذات طابع بيئي مستدام. فقد كان صلى الله عليه وسلم أول من أنشأ وقفاً، وهو السبعة حوائط، التي أوصى بها مخيريق اليهودي لرسول الله بأن يضعها حيث يشاء، فجعلها عليه الصلاة والسلام صدقة في سبيل الله[3]. فلا شك أن وقف هذه البساتين للفقراء والمساكين يعني الاستمرار في الحفاظ على خصوبتها والاعتناء بأشجارها وثمارها ومقاومة أية أضرار تلحق بها، كما أن استدامة هذه البساتين يسهم في توفير الأمن الغذائي. وهناك قصة بئر رُومَةَ بالمدينة المنورة التي اشتراها عثمان بن عفّان رضي الله عنه من صلب ماله، وتصدق بها على السابلة، كنتيجة لحث النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك، ومثل هذا النوع من الوقف لا يخفى

(1) محمد عبد القادر الفقي، ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية، الندوة العلمية الدولية الثالثة للحديث الشريف حول: القيم الحضارية في السنة النبوية، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي، 22 - 25 /4/2007.

(2) محمد عبدالقادر الفقي، دور الوقف الإسلامي في التنمية وحماية البيئة، مجلة الوعي الإسلامي، تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية - دولة الكويت، العدد 493، 2006.

(3) انظر: محمد بن يوسف الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، لجنة إحياء التراث الإسلامي-المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1994م، ج 4، ص 313.

14-1.indd 159 8/24/17 8:34 AM

دوره في توفير الأمن المائي. ونص الحديث عن عثمان بن عفان رضي الله عنه: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدِمَ الْمَدِينَةَ وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ يُسْتَعْذَبُ غَيْرَ بِئْرِ رُومَةَ فَقَالَ مَنْ يَشْتَرِي بِئْرَ رُومَةَ فَيَجْعَلَ دَلْوَهُ مَعَ دِلَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِخَيْرٍ لَهُ مِنْهَا فِي الْجَنَّةِ فَاشْتَرَيْتُهَا مِنْ صُلْبِ مَالِي)[1].

ج. تشكل الأحاديث النبوية التي تدرج عند الفقهاء في باب (إحياء الموات) دافعاً قوياً نحو تحقيق التنمية المستدامة، لكونها اختصت في تحفيز الأفراد على العمل على إحياء الأرض الموات وذلك من خلال منح حوافز دنيوية وآخروية. ومن أمثلتها: (مَنْ أَحْيَا أَرْضًا مَيِّتَةً فَهِيَ لَهُ)[2]، (مَنْ أَعْمَرَ أَرْضًا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ فَهُوَ أَحَقُّ)[3]، (مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ)[4]. فمن خلال هذه الأحاديث نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قرر (ملكية الأرض) لمن أحياها، تشجيعاً على الإحياء، وتحريضاً عليه، ولا ريب أن حب التملك دافع فطري قوي في نفس الإنسان، فإذا وجد أن كل ما يحييه ويعمره من الأرض يملكه، دفع ذلك إلى تحريك الهمة وتقوية النشاط في توسيع دائرة الإحياء والعمران للأرض، حتى تدخل في ملكه[5].

د. لم يعط الرسول صلى الله عليه وسلم مبرراً لأي شخص أن يوقف عجلة التنمية أو أن يحجز مورداً دون أن يستفيد منه المجتمع. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَزْرَعْهَا فَإِنْ عَجَزَ عَنْهَا فَلْيُزْرِعْهَا أَخَاهُ)[6]. فإذا عجز فرد ما عن زراعة أرضه، فلا يسمح له بتركها خارج إطار عملية التنمية، وإنما تمنح لفرد آخر ممن هو قادر على الزراعة. وفي ذلك حث المزارعين على عدم إهمال أراضيهم.

ه. جاء في حديث نبوي عن سعد بن عباده رضي الله عنه أنه قال: (يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أُمَّ سَعْدٍ مَاتَتْ فَأَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ قَالَ الْمَاءُ قَالَ فَحَفَرَ بِئْرًا وَقَالَ هَذِهِ لِأُمِّ سَعْدٍ)[7]. وفي هذا الحديث نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم من خلال موت شخص يدفع نحو إنشاء ما فيه بقاء للحياة واستمراريتها. فالبئر لن يستفيد منه الميت دنيوياً وإنما آخروياً، ولكن دنيوياً سيقدم هذا البئر السلعة الحياتية (الماء) للجيل الحالي، وسيستمر

(1) سنن الترمذي، كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه (رقم 3703). (حسنه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي).

(2) سنن أبي داود، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في إحياء الموات (رقم 3073). (حسنه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود).

(3) صحيح البخاري، كتاب المزارعة، باب من أحيا أرضا مواتا (رقم 2210).

(4) صحيح البخاري، كتاب المزارعة ، باب فضل الزرع والغرس إذا أكل منه (رقم 2195).

(5) يوسف القرضاوي، رعاية البيئة في شريعة الإسلام، دار الشروق، القاهرة، 2001م ، ص71.

(6) سنن النسائي، كتاب المزارعة، ذكر الأحاديث المختلفة في النهي عن كراء الأرض بالثلث والربع واختلاف ألفاظ الناقلين للخبر (رقم 3866). (صححه الشيخ الألباني في صحيح النسائي).

(7) سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب في فضل سقي الماء (رقم 1681). (حسنه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود).

□□□□□□ □□□□□□□ 14-1.indd 160 8/24/17 8:34 AM

فـي تقديمهـا للأجيـال التاليـة بقـدر مـا يمتلـئ مخزونـه، وبقـدر مـا يتجـدد هـذا المخـزون.

ثالثاً: الهدى النبوي في النظافة الشخصية والصحة الوقائية:

تتميـز السـنة النبويـة بعنايتهـا بتربيـة الإنسـان علـى الطهـارة والنظافـة والدعـوة إلـى تنظيـف الجسـد والثيـاب والحفـاظ علـى الصحـة، فـلا تـكاد تتـرك صغيـرة وكبيـرة متعلقـة بهـذا الشـأن إلا ذكرتـه. وفيمـا يلـي نعـرض نمـاذج مـن أحاديـث الرسـول صلـى الله عليـه وسـلم الدالـة علـى ذلـك:

- (حَقٌّ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَغْتَسِلَ فِي كُلِّ سَبْعَةِ أَيَّامٍ يَغْسِلُ رَأْسَهُ وَجَسَدَهُ)[1].
- (عَشْـرَةٌ مِـنْ الْفِطْـرَةِ قَـصُّ الشَّـارِبِ وَقَـصُّ الْأَظْفَـارِ وَغَسْـلُ الْبَرَاجِـمِ وَإِعْفَـاءُ اللِّحْيَـةِ وَالسِّـوَاكُ وَالِاسْتِنْشَـاقُ وَنَتْـفُ الْإِبْـطِ وَحَلْـقُ الْعَانَـةِ وَانْتِقَـاصُ الْمَـاءِ)[2].
- (السِّوَاكُ مِطْهَرَةٌ لِلْفَمِ مَرْضَاةٌ لِلرَّبِّ)[3].
- (أَتَانَـا رَسُـولُ اللَّهِ صَلَّـى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ فَـرَأَى رَجُـلًا شَـعِثًا قَـدْ تَفَـرَّقَ شَـعْرُهُ فَقَـالَ أَمَـا كَانَ يَجِـدُ هَـذَا مَـا يُسَـكِّنُ بِـهِ شَـعْرَهُ وَرَأَى رَجُـلًا آخَـرَ وَعَلَيْـهِ ثِيَـابٌ وَسِـخَةٌ فَقَـالَ أَمَـا كَانَ هَـذَا يَجِـدُ مَـاءً يَغْسِـلُ بِـهِ ثَوْبَـهُ)[4].
- (إِذَا اسْـتَيْقَظَ أَحَدُكُـمْ مِـنْ نَوْمِـهِ فَلْيَغْسِـلْ يَـدَهُ قَبْـلَ أَنْ يُدْخِلَهَـا فِـي وَضُوئِـهِ فَـإِنَّ أَحَدَكُـمْ لَا يَـدْرِي أَيْـنَ بَاتَـتْ يَـدُهُ)[5].
- (مَنْ بَاتَ وَفِي يَدِهِ رِيحُ غَمَرٍ فَأَصَابَهُ شَيْءٌ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ)[6].
- (مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ يَعْنِي الثُّومَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا)[7].
- (مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ طِيبٌ فَلَا يَرُدَّهُ فَإِنَّهُ طَيِّبُ الرِّيحِ خَفِيفُ الْمَحْمَلِ)[8] .
- (الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ)[9].
- (تَدَاوَوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ دَوَاءً غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ الْهَرَمُ)[10].

(1) صحيح مسلم، كتاب الجمعة، باب الطيب والسواك يوم الجمعة (رقم 849).

(2) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة (رقم 261).

(3) سنن النسائي، كتاب الطهارة، باب الترغيب في السواك (رقم 5).). (صححه الشيخ الألباني في صحيح النسائي).

(4) سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب في غسل الثوب وفي الخلقان (رقم 4062). (صححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة).

(5) صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب الاستجمار وترا (رقم 160).

(6) سنن الترمذي، كتاب الأطعمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ما جاء في كراهية البيتوتة وفي يده ريح غمر (رقم 1859). (صححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب).

(7) صحيح البخاري، أبواب صفة الصلاة ، باب ما جاء في الثوم النيء والبصل والكراث (رقم 815).

(8) سنن أبي داود، كتاب الترجل ، باب في رد الطيب (رقم 4172). (صححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود).

(9) صحيح مسلم، كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء (رقم 223).

(10) سنن أبي داود، كتاب الطب ، باب في الرجل يتداوى (رقم 3855). (صححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود).

14-1.indd 161 8/24/17 8:34 AM

ويلاحظ من هذه النماذج المختارة، كيف أن الرسول صلى الله عليه وسلم حرص أن يربي الناس على النظافة الشاملة، وإزالة الأوساخ بما فيها الروائح الكريهة، فيما حثهم على طلب الروائح الطيبة، واهتم حتى بترتيب الشعر فضلاً عن نظافته. كما دعاهم لطلب التداوي في معالجة أمراضهم.

ومن أهم أمثلة ربط النظافة بالعبادة الوضوء. حيث يلاحظ شمولية الوضوء معظم أجزاء الجسم، وخاصة تلك الأجزاء التي تحتاج دائماً للتطهر من أثر الملامسة المتكررة والإفرازات. ومن ثَّم فإن المسلم يتميز عن غيره بأنه يغسل وجهه على الأقل خمس مرات في اليوم مع أجزاء أخرى من جسمه وذلك أثناء الوضوء مع كل صلاة، مما جعل المسلم في طهارة دائمة، وأكثر من ذلك إنه أمر في حالة الجنابة بالاغتسال (لَا تُقْبَلُ صَلَاةٌ بِغَيْرِ طُهُور)[1].

كما أن هناك نصائح طبية في غاية الأهمية في مجال الحفاظ على الصحة، والعلاج والوقاية من الأمراض، والغذاء الصحي، نتحصل بها من خلال السنة النبوية بما يسمى بالطب النبوي، وهو القائم على الحلول المقدمة من خلال الطبيعة. فعلى سبيل المثال، ما جاء في الحديثين الآتيين، الأول: (أَنَّ عُمَرَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ مَعْمَرٍ رَمِدَتْ عَيْنُهُ فَأَرَادَ أَنْ يَكْحُلَهَا فَنَهَاهُ أَبَانُ بْنُ عُثْمَانَ وَأَمَرَهُ أَنْ يُضَمِّدَهَا بِالصَّبِرِ وَحَدَّثَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ فَعَلَ ذَلِكَ)[2]. والثاني: (سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ الْكَمْأَةُ مِنْ الْمَنِّ وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ)[3]. فمن خلال هذين الحديثين نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قدم علاجين للعين من خلال ما تقدمه الطبيعة وهما نباتي الصبر والكمأة. الصَبِر أو الألُوَة (باللاتينية: Aloë) جنس من النباتات الصحراوية أو الجبلية، وأصله بلدان جنوب أفريقيا مثل ناميبيا، وكذلك ينمو في البلاد العربية مثل منطقة جبال عسير جنوب جازان. والكمأ هو اسم لعائلة من الفطريات تسمى الترفزية (Terfeziaceae) وهو فطر بري موسمي ينمو في الصحراء بعد سقوط الأمطار بعمق من 5 إلى 15 سنتيمتر تحت الأرض.

ومن أمثلة الاهتمام النبوي بالغذاء الصحي حبه للعسل الذي فيه شفاء للناس، جاء في حديث شريف: (كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُعْجِبُهُ الْحَلْوَاءُ وَالْعَسَلُ)[4]. وقوله صلى الله عليه وسلم عن زيت الزيتون: (كُلُوا الزَّيْتَ وَادَّهِنُوا بِهِ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ)[5]. وهناك نصيحته الغذائية العامة بعدم الإكثار من الأكل لمضاره الصحية، حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِنْ

(1) صحيح مسلم، كتاب الطهارة ، باب وجوب الطهارة للصلاة (رقم 224).

(2) صحيح مسلم، كتاب الحج ، باب جواز مداواة المحرم عينيه (رقم 1204).

(3) صحيح مسلم، كتاب الأشربة ، باب فضل الكمأة ومداواة العين بها (رقم 2049).

(4) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الدواء بالعسل (رقم 5358).

(5) سنن الترمذي، كتاب الأطعمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في أكل الزيت (رقم 1851). (صححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي).

□□□□□□ □□□□□□□ 14-1.indd 162 8/24/17 8:34 AM

كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ)[1].

يقول الإمام ابن القيم: ومن تأمل هدى النبي صلى الله عليه وسلم وجده أفضل هدي يمكن حفظ الصحة به، فإن حفظها موقوف على حسن تدبير المطعم والمشرب، والملبس والمسكن، والهواء والنوم، واليقظة والحركة، والسكون والمنكح، والاستفراغ والاحتباس، فإذا حصلت هذه على الوجه المعتدل الموافق الملائم للبدن والبلد والسن والعادة، كان أقرب إلى دوام الصحة أو غلبتها إلى انقضاء الأجل[2].

المبحث الثاني: قواعد وأساليب تربوية في السنة النبوية لتعزيز السلوك الإيجابي تجاه البيئة ومكوناتها

لم يكتف الرسول صلى الله عليه وسلم بتوجيه الأوامر والتعليمات فيما يتعلق بحماية البيئة، بل وضع قواعد واستخدم اساليب تربوية تفيد في تعزيز السلوك الإيجابي تجاه البيئة ومكوناتها.

ولعل في ذلك ترابطاً مع ما يعرف في زمننا هذا بالتربية البيئية. والتربية البيئية هي من العلوم التربوية الحديثة والتي ظهرت كأحد الأدوات أو الأساليب التي تستخدم في حماية البيئة، والمغزى الأساسي للتربية البيئية هو تغيير السلوك السلبي للأفراد تجاه البيئة إلى سلوك إيجابي أي سلوك صديق للبيئة.

حيث نجد أن الهدى النبوي قد كان له تأثيراً في تربية أوائل المسلمين تربية بيئية، حيث تمثل أثر هذه التربية فيهم بأنهم أرفقوا وأحسنوا بكل عناصر ومكونات البيئة. وسوف نتناول هنا ثلاثة جوانب في السنة النبوية بصدد تعزيز السلوك الإيجابي تجاه البيئة ومكوناتها.

أولاً: قواعد عامة لترشيد السلوك تجاه البيئة:

توجد في السنة النبوية الكثير من الأحاديث التي تعد بمثابة إرشادات وقواعد عامة تفيد في ترشيد سلوك المسلم ليكون إيجابياً تجاه البيئة. ونعرض هنا النماذج الآتية:

1. إن الله جميل يحب الجمال:

جاء في حديث للرسول صلى الله عليه وسلم : (لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ قَالَ رَجُلٌ إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً قَالَ إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ)[3]. إن هذا الحديث يفيد في ترشيد السلوك بيئياً نحو عدم الإسهام في خلق أي نوع من أنواع ما يسمى

(1) سنن الترمذي، كتاب الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل (رقم 2380). (صححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي).

(2) ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة - مكتبة المنار الإسلامية - بيروت – الكويت، الطبعة 14، 1986م، 4/، ص 195.

(3) صحيح مسلم، كتاب الإيمان ، باب تحريم الكبر وبيانه (رقم 91).

14-1.indd 163 8/24/17 8:34 AM

بالتلوث النظري أو التلوث البصري، مثل مناظر الأماكن التي ترمى فيها القاذورات دون وضعها في الصناديق المخصصة لها، والأماكن العشوائية والفوضوية والتي تفتقد إلى الترتيب والتنظيم. ثم إن الله خلق العالم وأحاطه بالجمال، مما يتطلب على المسلم وفق هذا الحديث الحفاظ على هذا الجمال، بل وعليه أن يصنع الجمال في كل شئ لأن الله يحب الجمال، فحتى جمال الرائحة مطلوب قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ رَيْحَانٌ فَلَا يَرُدُّهُ فَإِنَّهُ خَفِيفُ الْمَحْمِلِ طَيِّبُ الرِّيحِ)[1]. وبحسب الحديث، فمن من السلوكيات المطلوبة أن يحافظ المسلم على نظافته الشخصية والهيئة الحسنة بما فيها جمال ملابسه، مع ضرورة الانتباه إلى أن هذا الدين العظيم اهتم بجمال الباطن أيضاً, فلابد أن يقترن الجمال الظاهر بجمال الباطن، والذي يتطلب أن يكون قلب المسلم طاهرًا نقيًا فيه الصفاء والنقاء والطهارة وخالياً من الكبر وغيرها من الأمراض القلبية.

2. ان الله كتب الإحسان على كل شئ:

جاء في حديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَ وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ)[2]. وقال النووي في وصفه هذا الحديث: وهذا الحديث من الأحاديث الجامعة لقواعد الإسلام[3].

إن قانون الإحسان على كل شئ المنبثق عن الحديث، هو قانون تنفرد به الشريعة الإسلامية، فحتى عند ذبح الحيوان، فإن المسلم مطالب بالإحسان بحيث لا يتم تعذيب الذبيحة (وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ). وفي حديث آخر تجد المطالبة بالإحسان عند ركوب الحيوان: (ارْكَبُوا هَذِهِ الدَّوَابَّ سَالِمَةً وَابْتَدِعُوهَا سَالِمَةً وَلَا تَتَّخِذُوهَا كَرَاسِيَّ)[4].

والفائدة البيئية العامة هنا، إنه وفقاً لقانون الإحسان على كل شئ، فإن على المسلم أن يوجه سلوكه ليتعامل بالإحسان مع كل مكونات البيئة، لأن الإحسان مطلوب في كل شئ، فمثلاً عند تعامله مع الموارد الطبيعية ينبغي أن يحسن إليها فلا يستنزفها أو يبددها، وكذا يحسن إلى الهواء والماء فلا يلوثهما. وهكذا، فبهذا القانون لم يترك الإسلام شئياً في البيئة إلا طالب المسلم بالإحسان إليه.

3. إن الله رفيق يحب الرفق:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا

(1) صحيح مسلم، كتاب الألفاظ من الأدب وغيرها ، باب استعمال المسك وأنه أطيب الطيب وكراهة رد الريحان والطيب (رقم 2253).

(2) صحيح مسلم، كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة، (رقم 1955).

(3) النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1392هـ، ج 13 ص 107.

(4) مسند أحمد، مسند الشاميين، حديث معاذ بن أنس رضي الله تعالى عنه (رقم 17590). (صححه الشيخ الألباني في الجامع الصغير).

□□□□□□ □□□□□□□ 14-1.indd 164 8/24/17 8:34 AM

يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ)[1]. إن في هذا الحديث دعوة للمسلم أن يكون رفيقاً مثل خالقه، وعندما يكون رفيقاً ينعكس ذلك في سلوكه حتى عند تعامله مع الحيوان ومع البيئة عامة. جاء في حديث شريف عن عائشة رضى الله عنها: (كُنْتُ عَلَى بَعِيرٍ صَعْبٍ فَجَعَلْتُ أَضْرِبُهُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ فَإِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ)[2]. ففي هذا الحديث بالرغم من صعوبة البعير يطالب النبي صلى الله عليه وسلم عائشة أن يكون تعاملها معه بالرفق. ثم انظر كيف يصف الرسول الرفق (فَإِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ). والمستخلص هنا، أن قاعدة الرفق هذه، هي خير راشد لسلوك المسلم عند تعامله سواء مع أبناء جلدته، أو مع الحيوانات، أو مع أي مكون من مكونات البيئة، بحيث يكون تعامله رفيقاً، وما ينجم عن ذلك من آثار إيجابية متعددة.

4. في كل كبد رطب أجر:

عندما سئل الرسول صلى الله عليه وسلم من أتباعه ألهم أجر في هذه البهائم، أجاب صلوات الله عليه: (فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ)[3]. ولاحظ كلمة (كل) في الحديث والذي بموجبه لم يتم استثناء أي كائن طالما فيه روح ينبض. فإذا أحسنت أو رفقت أو رحمت أي كائن حي فإن لك فيه أجر. وكمثال عملي جاء في حديث أخر: (بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ قَدْ كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطَشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ فَسَقَتْهُ إِيَّاهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ)[4]. فانظر عظيم الأجر التي حصلت عليها هذه المرأة من رحمتها للحيوان بالرغم من معصيتها. وفي مقابل أن الإحسان للحيوان يترتب عليها أجر، فإن الإساءة إليه يترتب عليها عذاب، فقد جاء في الحديث: (عُذِّبَتِ امرأةٌ في هِرَّةٍ سجنَتْها حتى ماتت. فدخلت فيها النارَ. لا هي أطعمَتْها وسقتْها، إذ هي حبستْها. ولا هي تركتْها تأكلُ من خشاشِ الأرضِ)[5]. ولا شك أن المسلم الذي تربى على أحاديث الرسول هذه ورزق باتباعها لن ينجم عنه أي سلوك من شأنه أن يؤذي أي حيوان بأي أذى بل ستجده يحسن إليها.

5. إماطة الأذى عن الطريق شعبة من شعب الإيمان:

قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أو بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا

---

(1) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق (رقم 2593).

(2) مسند أحمد، باقي مسند الأنصار، حديث السيدة عائشة رضي الله عنها (رقم 24417). (شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم. انظر صحيح مسلم حديث رقم 2594).

(3) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها (رقم 2244).

(4) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها (رقم 2245).

(5) صحيح مسلم، كتاب السلام، باب تحريم قتل الهرة (رقم 2242).

14-1.indd 165 8/24/17 8:34 AM

قَوْلُ لَا إِلَـهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَـةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيـقِ وَالْحَيَـاءُ شُـعْبَةٌ مِـنْ الْإِيمَـانِ)[1]. ويـدل هـذا الحديـث علـى أن شـعب الإيمـان بعضهـا يرجـع إلـى الإخـلاص للمعبـود الحـق، وبعضهـا يرجـع إلـى الإحسـان إلـى الخلـق. ونبـه بإماطـة الأذى علـى جميـع أنـواع الإحسـان القولـي والفعلـي، الإحسـان الـذي فيـه وصـول المنافـع، والإحسـان الـذي فيـه دفـع المضـار عـن الخلـق[2].

ومـن الناحيـة البيئيـة، نـرى أن هـذا الحديث هو دعوة عامـة للأفراد أن يكونوا ناشـطين بيئيين. ولا شـك أن المسـلم العامـل بهـذا الحديـث لا يمكـن أن تجـده يمـر من أمـام أي أذى يصـادفه فـي الطريق دون أن يعمـل علـى إزالتـه إن كان ذلـك فـي مقـدوره، فهـو يعـد هـذا العمـل الـذي قـد يكـون بسـيطاً مثـل رفـع بعـض الأحجـار مـن الطـرق، عملاً لا يسـتهان بـه باعتباره شـعبةً من شـعب الإيمان.

ومـع كبـر العمـل الصالـح وزيـادة أهميتـه للناس يزداد الأجـر، فالذي يسـاهم مثلاً في إزالـة التلوث الهوائـي الناجـم عـن أزمـة المـرور فـي الطـرق يكـون أجـره أكبـر وهكـذا. إن هـذا الحديث يشـكل دافعـاً كبيـراً فـي توجيـه الأفـراد ليكـون سـلوكهم إيجابيـاً تجـاه البيئة، وتطوعهـم ذاتيـاً للعمـل البيئي.

6. جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً:

قـال الرسـول صلـى الله عليـه وسـلم: (وَجُعِلَـتْ لِـي الْأَرْضُ مَسْـجِدًا وَطَهُـورًا)[3]. ويـدل الحديـث أن جميـع بقـاع الأرض مسـجد يُصَلّـى فيهـا مـن غيـر اسـتثناء، إلا مـا ثبـت نصـاً بالنهـي عـن الصـلاة فيـه، مثـل المقبـرة والحمـام، وأعطـان الإبـل، وكذلـك الموضـع المغصـوب والنجـس لاشـتراط الطهـارة لبـدن المصلـي وثوبـه وبقعتـه.

ومـن الناحيـة البيئيـة، نـرى أن الأرض بموجـب هـذا الحديـث تكتسـب مـا يمكـن تسـميته بالحصانـة البيئيـة، فـلا يجـوز تلويثهـا أو تدنيسـها بالأوسـاخ والقـاذورات، لأنهـا فـي الأسـاس مسـجد وطهـور. فـلا يعقـل مـن المسـلم أن يلـوث ويدنـس مسـجده. بـل ان المسـلم المتأثـر والعامـل بهـذا الحديـث تكـون مشـاعره فياضـة تجـاه الأرض كلهـا قاصيهـا ودانيهـا. فهـذا المسـجد الواسـع فـي تصـوره وفـق عقيدتـه وشـريعته، يجعلـه يسـير فـي رحابـه وهـو حريـص علـى إزالـة أي أذى فيـه. وعلـى سـبيل المثـال، لا يمكـن أن نتصـور مـن هـذا المسـلم ان يكـون مسـبباً أو مسـئولاً عـن عـدم معالجـة طفـح المجـاري وجريانهـا فـي الشـوارع والطـرق، فأنـى يطيـق أن يفعـل ذلـك، والأرض طهـور ومسـجد لـه. فـإن هـذا الحديـث لطيفـة مـن اللطائـف فـي توجيـه سـلوك المسـلم نحـو العمـل علـى الحفـاظ علـى سـلامة الأرض.

(1) صحيح مسلم، كتاب الإيمان ، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان (رقم 35).

(2) عبدالرحمن بن ناصر السعدي، بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار، ص 158.

(3) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، أبواب استقبال القبلة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا

14-1.indd 166 8/24/17 8:34 AM

7. لا تسرف في الماء ولو كنت على نهر جار:

جاء في حديث نبوي: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِسَعْدٍ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فَقَالَ مَا هَذَا السَّرَفُ فَقَالَ أَفِي الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ قَالَ نَعَمْ وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهَرٍ جَارٍ)[1]. ونستنبط من هذا الحديث قاعدة عامة مفادها أن الإسراف حرام سواء كان المورد الذي نستخدمه قليلاً أم كثيراً. وفي حديث آخر، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا مَا لَمْ يُخَالِطْهُ إِسْرَافٌ أو مَخِيلَةٌ)[2]. ونجد في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم تطبيقات عملية في عدم الإسراف، فمثلًا كان مقتصداً في استخدام الماء في الاغتسال والوضوء جاء في الحديث : (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُغَسِّلُهُ الصَّاعُ مِنْ الْمَاءِ مِنْ الْجَنَابَةِ وَيُوَضِّئُهُ الْمُدُّ)[3]. كما يقول حول كثرة الأكل: (مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ حَسْبُ الْآدَمِيِّ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ فَإِنْ غَلَبَتْ الْآدَمِيَّ نَفْسُهُ فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ)[4].

من المعروف عندما يشح مورد ما لدى الإنسان، فإنه يقتصد تلقائياً في استخدامه، وأما إذا ازداد المورد ازدياداً كبيراً، فإنه قد يندفع نحو الإسراف، إلا المسلم المتبع الهدى النبوي فلا يفعل ذلك، لأن قاعدة (لا تسرف في الماء ولو كنت على نهر جار) تهذب سلوكه وتمنعه من الإسراف فلا يستخدم المورد إلا بقدر حاجته.

8. لا ضرر ولا ضرار:

إن قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ)[5]، يعد بمنزلة قاعدة بيئية ذهبية، فهي قاعدة تختصر الكثير من التعليمات، فبدلاً من القول: افعل كذا، ولا تفعل كذا، فإن هذا الحديث – القاعدة يوجه سلوك المسلم توجيهاً عاماً أن لا يصدر عنه أي عمل يسبب أي ضررٍ كان. واعتقد جازماً لو طبقت البشرية جمعاء هذه القاعدة فستختفي كل المشكلات البيئية التي يعاني العالم منها اليوم. وعامة فإن في الإسلام كل الأضرار ممنوعة مهما كان نوعها وشكلها، فحتى الضرر الحاصل من خلال الأصوات أو ما يسمى بالتلوث الضوضائي منهي عنه.

---

(1) سنن ابن ماجه، كتاب الطهارة وسننها ، باب ما جاء في القصد في الوضوء وكراهة التعدي فيه (رقم 425). (ضعفه الشيخ الألباني في ضعيف ابن ماجه، ثم تراجع الشيخ وحسنه في السلسلة الصحيحة).

(2) سنن ابن ماجه، كتاب اللباس، باب البس ما شئت ما أخطأك سرف أو مخيلة (رقم 3605). (صححه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه).

(3) صحيح مسلم، كتاب الحيض، باب القدر المستحب من الماء في غسل الجنابة وغسل الرجل والمرأة في إناء واحد في حالة واحدة وغسل أحدهما بفضل الآخر (رقم 326).

(4) سنن ابن ماجه، كتاب الأطعمة، باب الاقتصاد في الأكل وكراهة الشبع (رقم 3349). (صححه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه).

(5) سنن ابن ماجه، كتاب الأحكام، باب من بنى في حقه ما يضر بجاره (رقم 2341). (صححه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه).

□□□□□□ □□□□□□□ 14-1.indd 167 8/24/17 8:34 AM

وتنشق عن قاعدة لا ضرر ولا ضرار عدة قواعد فقهية، منها قاعدة (الضرر يزال)، والتي تعني أنه يجب رفع الضرر وإصلاح ما يترتب عليه من آثار، سواء كان الضرر عاماً أو خاصاً. فطالما أن الضرر ممنوع وهو ظلم ومحرم؛ لذلك لا بد أن يزال بالوسائل الممكنة لدفعه[1].

9. لا تسبوا الريح ... لا تسبوا الديك:

إنه قمة التعامل المتميز مع عناصر ومكونات البيئة، فحتى العنف اللفظي معها مرفوض في هذا الشريعة السمحاء. ولو كنا نتوقع بحدوث أضرار من أحد عناصرها فلا بجوز لنا أن نسبها. قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ فَقُولُوا اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هَذِهِ)[2]، وقال: (لاَ تَسُبُّوا الدِّيكَ فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلاَةِ)[3] وهنا أعطى للديك مكانة دينية لكونه يوقظ للصلاة. كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يغضب ممن يلعنون الحيوانات.

وعامة لا يجوز للمسلم سب عناصر البيئة الحية منها وغير الحية لأنها تسجد وتسبح لله، يقول الله تعالى { أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ }[4]. فكيف نسب من يسجد لله. والفائدة البيئية، إنه إذا كان السب محرماً لعناصر البيئة، فإنه من باب أولى أن لا يتم الإلحاق الاضرار بها وتلويثها.

10. جبل أحد يحبنا ونحبه:

جاء في الحديث النبوي (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَلَعَ لَهُ أُحُدٌ فَقَالَ هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ)[5]. فانظر إلى علاقة العاطفة والحب التي ارتبط بها الرسول صلى الله عليه وسلم بأحد مكونات البيئة وهو جبل أحد. إن هذا الحديث من شأنه أن يولد في النفس ثقافة الأخوة بين الإنسان والطبيعة، تلك الثقافة التي تنتفي منها معاني العداء والصراع والمغالبة والعنف والتدمير، لتسود معاني المحبة والرأفة والمحافظة.

هذا مع أن هذا الجبل وقعت بجواره غزوة أحد، التي استشهد فيها سبعون من المسلمين، على رأسهم عمه حمزة بن عبدالمطلب أسد الله وأسد رسوله، وربما لو كان أحداً غيره

(1) محمد جبر الألفي، البيئة والمحافظة عليها من منظور إسلامي، مجمع الفقه الإسلامي الدولي، منظمة المؤتمر الإسلامي، الدورة التاسعة عشرة، إمارة الشارقة، 26 - 30 أبريل 2009.

(2) سنن الترمذي، كتاب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في النهي عن سب الرياح (رقم 2252). (صححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي).

(3) سنن أبي داود، أبواب النوم، باب ما جاء في الديك والبهائم (رقم 5101). (صححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود).

(4) سورة الحج الآية (18).

(5) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب أحد يحبنا ونحبه (رقم 3856).

□□□□□□ □□□□□□□ 14-1.indd 168 8/24/17 8:34 AM

لتشاءم من هذا الجبل، ولكنه عبر عن عاطفته نحوه بهذه الجملة المبينة الرائعة (يحبنا ونحبه) فكأنما جعل من الجبل كائناً حياً عاقلاً له قلب يحس ويحب، فلم يكتف بأنه يحب أحداً، بل قال عن الجبل (يحبنا) فما أجملها وأروعها من علاقة. فأي أنس بالبيئة، وأي إناس لها أوضح مما دل عليه هذا التعبير النبوي الجميل[1]. وبالتأكيد لا يمكن لنا أن نحس بهذا الإحساس مع أي مكون بيئي إذا كنا نضر به ونعيث فيه فساداً، فلا يمكن أن ندعي أننا نحبه، ولا يمكننا أن نستشعر بأنه يحبنا.

إن الأثر الهام لهذا الحديث، أنه يمثل دعوة إلى سمو سلوك الإنسان مع البيئة، بحيث لا يكتفي بعدم الإضرار بمكوناتها والإحسان إليها، بل يرتبط بعلاقة عاطفية معها. وبالتأكيد لا يمكن أن نتوقع من المحب أن يؤذي حبيبه.

وفي نهاية عرضنا لهذه الإرشادات أو القواعد العامة، من حقنا أن نتباهى بشريعتنا الإسلامية، فهل هناك من تشريعات أو أدبيات أو حتى قوانين بيئية تضاهي شريعتنا فيما وصلت إليها، أنها تطلب منا التعامل بأدبٍ جم مع عناصر البيئة، فلا يجوز لنا حتى أن نسبها، فيما تطلب منا أن نحسن إليها، ونتحسس آلامها، وأكثر من ذلك إنها تدفعنا إلى أن نحبها وأن نشعر بأنها تحبنا.

ثانياً: أساليب تربوية بيئية:

إن النجاح في تحقيق أي نوع من أنواع التربية يتطلب استخدام مختلف الأساليب التربوية. وقد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم في تربيته الإيمانية الشاملة على استخدام عدة أساليب تربوية مثل: السؤال، والحوار، وضرب الأمثال، والقصص. وقد بلغت الحكمة النبوية غاية في روعة الوضوح.

فقد كان النبي يتعاهد أصحابه بالأسئلة، بغرض تعليمهم تارة، وتحريك فطنتهم واختبار ما عندهم من العلم تارة أخرى، فيكتشف المتميز منهم، فيثني على المصيب، ويصوب المخطئ، وهذا الأسلوب النبوي الراقي ما هو إلا لون من ألوان اكتشاف المتميزين[2]. وإلى جانب استخدامه أسلوب السؤال والجواب لتنشيط المخاطبين وتهيئة عقولهم، كان يضرب الأمثال ليقرب البعيد ويجلي الغامض من المعاني، كما استخدم القصص، وكل ذلك لتشويق المتعلم ولتقريب المعنى إلى الإفهام، فقد ألف الناس تشبيه الأمور المجردة بالأشياء الحسية، ليستطيعوا فهم تلك الأمور المعنوية أو الغيبية.

وفيما يلي سوف نعرض نماذج من الأساليب النبوية في التربية، ونخص هنا بتلك المرتبطة بالتربية البيئية. حيث سنبدأ في كل نموذج بإيراد الحديث النبوي التربوي، ثم

(1) يوسف القرضاوي، رعاية البيئة في شريعة الاسلام، مصدر سابق، ص 30.

(2) مها سليمان أحمد أبونمر، التميز في ضوء السنة النبوية – دراسة موضوعية، دراسة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزه، 2011م ، ص 76.

14-1.indd 169 8/24/17 8:34 AM

سيتم تبيان الدروس البيئية المستفادة منه.

1. شجرة مثل المسلم:

الحديث النبوي : (عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ إِنَّ مِنْ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا وَهِيَ مَثَلُ الْمُسْلِمِ حَدِّثُونِي مَا هِيَ فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَادِيَةِ وَوَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَاسْتَحْيَيْتُ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنَا بِهَا فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِيَ النَّخْلَةُ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ فَحَدَّثْتُ أَبِي بِمَا وَقَعَ فِي نَفْسِي فَقَالَ لَأَنْ تَكُونَ قُلْتَهَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَكُونَ لِي كَذَا وَكَذَا)[1].

الدروس البيئية المستفادة:

أ. في الحديث تم الاستفادة من أحد عناصر البيئة في التعليم، وخاصة تلك المتواجدة في البيئة المحلية المحيطة، وهي هنا (النخلة). وهذا منهج متبع عند الرسول صلى الله عليه وسلم، كمثال آخر استخدامه لشجرة (السعدان). حيث جاء في حديث نبوي: (... وَبِهِ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ)[2].

ب. إن السؤال الذي وضعه الرسول في الحديث، جعل من الصحابة يسيحون في البيئة المحيطة بهم، ويفكرون في نباتاتها، ويميزون النباتات المفيدة عن غيرها في محاولتهم للوصول إلى الشجرة التي تشبه المسلم. كما أن في الحديث إشارة إلى المعرفة البيئية المبنية على الملاحظة البيئية، حيث تم وصف شجرة النخلة بأنها شجرة لا يسقط ورقها.

ج. إن هذا الحديث يعلم المسلم أن يكون متواضعاً مخالفاً للإنسان المغرور المتمحور حول ذاته الذي يرى أنه فوق الطبيعة ومسيطر عليها، وذلك لأنه يشبهه بأحد مكونات البيئة وهي شجرة النخلة، بل ويعلمه أن يكون غزير العطاء ومتعدد الفوائد مثلها.

د. أعطى الحديث لهذه الشجرة الطيبة شجرة النخلة مكانة خاصة، وذلك بتشبيهها بالمسلم، وعليه وفق هذا الحديث فإنه من المتوقع من المسلم أن يعمل على إكرام النخلة لأن الرسول قرن بينه وبينها في الشبه.

2. الكلب العطشان:

الحديث النبوي: (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنْ الْعَطَشِ فَقَالَ الرَّجُلُ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنْ

(1) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب الحياء في العلم (رقم 131).

(2) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب الصراط جسر جهنم (رقم 6204).

□□□□□□ □□□□□□□ 14-1.indd 170 8/24/17 8:34 AM

الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنَّ لَنَا فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ لَأَجْرًا فَقَالَ فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ)[1].

الدروس البيئية المستفادة:

أ. يبين هذا الحديث، والذي جاء بأسلوب القصة، حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على وصف معاناة الكلب من العطش (كلب يلهث يأكل الثرى من العطش)، وفيه تنبيه للإنسان، أن الحيوان يعاني مثل ما يعاني الإنسان من العطش والجوع.

ب. وفي الحديث إقرار بحق الحيوان في الحياة، وإقرار بمسؤولية الإنسان تجاه رعاية الحيوان وتوفير احتياجاته إن عجز عن ذلك، لأن الإنسان خليفة الله في الأرض.

ج. يبين الحديث الأجر العظيم لهذا العمل البيئي وهو إنقاذ حيوان من الموت عطشاً، حيث شكر الله له هذا العمل فغفر له. وبالتالي يمثل هذا الحديث تحفيزاً لا يماثله أي تحفيز دنيوي في التشجيع على القيام بمثل هذه الأعمال (في كل كبد رطب أجر).

3. الجمل المظلوم:

الحديث النبوي: (رْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ خَلْفَهُ فَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لَا أُخْبِرُ بِهِ أَحَدًا أَبَدًا وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَبُّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ فِي حَاجَتِهِ هَدَفٌ أو حَائِشُ نَخْلٍ فَدَخَلَ يَوْمًا حَائِطًا مِنْ حِيطَانِ الْأَنْصَارِ فَإِذَا جَمَلٌ قَدْ أَتَاهُ فَجَرْجَرَ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ قَالَ بَهْزٌ وَعَفَّانُ فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ فَمَسَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرَاتَهُ وَذِفْرَاهُ فَسَكَنَ فَقَالَ مَنْ صَاحِبُ الْجَمَلِ فَجَاءَ فَتًى مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ هُوَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَ أَمَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَهَا اللَّهُ إِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ)[2].

الدروس البيئية المستفادة:

أ. في الحديث نهي عن إساءة التعامل مع الحيوان، مثل تجويعه وإرهاقه. وفيه تنبيه للإنسان أن الحيوان يتألم كما يتألم الإنسان.

ب. نتعلم من الحديث كيف كان الرسول صلى الله عليه وسلم رحيما وعطوفاً بالحيوان. حيث نرى أن الجمل يشكو همه للرحمة المهداة النبي محمد صلى الله عليه وسلم (فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَنَّ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ)، ثم نرى كيف عامل الرسول

(1) صحيح مسلم، كِتَاب السلام، باب فضل سقي البهائم المحترمة وطعامها (رقم 2244).

(2) مسند أحمد، مسند أهل البيت رضوان الله عليهم أجمعين، حديث عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهما (رقم 1747). (صححه الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه لمسند أحمد).

14-1.indd 171 8/24/17 8:34 AM

الجمل بحنان حينما أدرك شكواه ومعاناته (فَمَسَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرَاتَهُ وَذِفْرَاهُ فَسَكَنَ). إن الدرس المستوفي من هذا الهدى النبوي أن نكون رحيمين بالحيوان عطوفين به حتى على الأقل بلمسة حنان.

ج. يوضح الحديث جانباً مهماً في المفهوم الإسلامي للبيئة. وهو أن الإنسان مخول لإدارة ما سخره الله له من مخلوقات وليس لتملكها، فهو مدير وليس مالكاً، ومنتفعاً وليس متصرفاً أو مسيطراً، حيث تقرر الشريعة الإسلامية أن الله تعالى هو وحده مالك الأرض وما فيها[1]. حيث جاء في الحديث قول رسول الله (أَمَا تَتَّقِي اللَّهَ فِي هَذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَهَا اللَّهُ)، فهنا ينبه الرسول صلى الله عليه وسلم صاحب الجمل بأنه ليس المالك الحقيقي لهذه البهيمة، وإنما مالكها الحقيقي هو الله، وبالتالي يجب عليه أن يتقي الله في التعامل مع هذه البهيمة التي ملكها له.

د. نجد في الحديث أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يتوان في رفع الظلم عن هذا الحيوان, وأمر صاحبه أن يتقي الله فيه. وعليه يعلمنا الحديث درساً هاماً في الدفاع عن الحيوان، وفي عدم السكوت على الظلم أياً كان نوعه.

4. النهر النظيف:

الحديث النبوي: (أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا مَا تَقُولُ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ قَالُوا لَا يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا قَالَ فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا)[2]

الدروس البيئية المستفادة:

أ. في الحديث تم استخدام عنصر من عناصر البيئة وهو (النهر) في تقريب أو إيصال معنى إيماني وهو محو الصلوات الخمس للخطايا. حيث استخدم هنا الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوب ضرب المثل، فبين لهم كيفية محو الصلوات الخمس للخطايا، بمثال محسوس ومجرب لديهم، وهو الاغتسال خمس مرات في نهر وما يسفر عنها من نظافة للجسم.

ب. في الحديث إشارة إلى استخدام الماء في التخلص من أدران الجسم.

ج. بين الحديث نعمة (النهر) في توفيره الدائم للماء، والذي نحتاجه في نظافة الجسم والتخلص من الأدران، ونحتاجه للوضوء في الصلوات الخمس.

د. إن الحديث يقدم لنا النهر كعنوان للنظافة، ومن ثم فإذا كان النهر يفيدنا في التخلص من الأدران وفي الوضوء للصلوات، فمن باب أولى أن نحافظ على هذا النهر، ولا يعقل أبداً أن نلوثه أو نرمي فيه المخلفات السائلة، فكيف سنغتسل أو نتوضأ في نهرٍ قذر وملوث؟.

(1) كمال الدين حسن البتانوني، المعارف التراثية في صحاري الوطن العربي، سلسلة عالم البيئة، رقم (5)، إصدار جائزة زايد الدولية للبيئة، دبي، 2006، ص276.

(2) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة ، باب الصلوات الخمس كفارة (رقم 505).

14-1.indd 172 8/24/17 8:34 AM

5. السحاب الماطر:

الحديث النبوي: (بَيْنَا رَجُلٌ بِفَلَاةٍ مِنْ الْأَرْضِ فَسَمِعَ صَوْتًا فِي سَحَابَةٍ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ فَتَنَحَّى ذَلِكَ السَّحَابُ فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدْ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ فَتَتَبَّعَ الْمَاءَ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ مَا اسْمُكَ قَالَ فُلَانٌ لِلِاسْمِ الَّذِي سَمِعَ فِي السَّحَابَةِ فَقَالَ لَهُ يَا عَبْدَ اللَّهِ لِمَ تَسْأَلُنِي عَنْ اسْمِي فَقَالَ إِنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا فِي السَّحَابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ يَقُولُ اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ لِاسْمِكَ فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا قَالَ أَمَّا إِذْ قُلْتَ هَذَا فَإِنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَا يَخْرُجُ مِنْهَا فَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثِهِ وَآكُلُ أَنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا وَأَرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ)[1].

الدروس البيئية المستفادة:

أ. إن ذكر الحديث للنظام البيئي المتمثل في السحاب الذي يفرغ ماءه على أرض صالحة للإنبات، هو دعوة لشكر الله على هذا النظام البيئي، ومن ثم لا يعقل أبداً أن نلوث هذا النظام بشتى أنواع التلوث الهوائي والمائي وتلوث التربة، حتى أصبحت معها السحاب تمطر أمطاراً حمضية، والأرض تنبت ثماراً لا طعم لها.

ب. في الحديث إشارة للاستعداد والتهيئة للاستفادة من خيرات البيئة، مثل عمل مجاري الماء للاستفادة الرشيدة والسليمة من ماء المطر في سقي الأراضي المزروعة (فَأَفْرَغَ مَاءَهُ فِي حَرَّةٍ فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدْ اسْتَوْعَبَتْ ذَلِكَ الْمَاءَ كُلَّهُ)، (يُحَوِّلُ الْمَاءَ بِمِسْحَاتِهِ).

ج. يوضح الحديث الأثر البيئي لبركة العمل الصالح، وهو جانب تنفرد فيه الشريعة الإسلامية عن التشريعات والأدبيات الوضعية. ذلك لكون الشريعة الإسلامية تربط ما بين الأرض والسماء.

د. وفي مقابل هذا الحديث الذي يوضح الأثر البيئي لبركة العمل الصالح، نورد هنا حديثاً نبوياً أخر يبين العواقب البيئية السلبية الناجمة عن المعاصي. حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم: (لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمْ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَئُونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السَّمَاءِ وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا)[2].

6. سفينة في بحر:

الحديث النبوي: (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْمُدْهِنِ فِيهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ فِي الْبَحْرِ فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا يَصْعَدُونَ فَيَسْتَقُونَ الْمَاءَ فَيَصُبُّونَ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا فَقَالَ

(1) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب الصدقة في المساكين. (رقم 2984).

(2) سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب العقوبات (رقم 4019). (حسنه الشيخ الألباني في صحيح ابن ماجه).

14-1.indd 173 8/24/17 8:34 AM

الَّذِينَ فِي أَعْلَاهَا لَا نَدَعُكُمْ تَصْعَدُونَ فَتُؤْذُونَنَا فَقَالَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا فَإِنَّا نَنْقُبُهَا مِنْ أَسْفَلِهَا فَنَسْتَقِي فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ فَمَنَعُوهُمْ نَجَوْا جَمِيعًا وَإِنْ تَرَكُوهُمْ غَرِقُوا جَمِيعًا)[1].

الدروس البيئية المستفادة:

أ. في الحديث تأكيد على المسئولية المشتركة، ومشاركة الجميع في مواجهة الأخطار التي تهدد الإنسانية، وبخاصة المشكلات البيئية التي تتطلب مشاركة وتضافر جهود الجميع في معالجتها.

ب. يؤكد الحديث بضرورة منع مسببي الضرر، لأن السفينة لن تغرق فقط مع الذين نقبوها، إنما السفينة سنغرق مع كل راكبيها. وبما يفيد بضرورة تعاون الجميع في منع كل من يقوم بأي عمل من شأنه أن يضر بالبيئة، حيث إن المشكلة البيئية ضررها يعم الجميع ولا تخص مرتكبها فقط.

ج. هذا الحديث يصور الحدود التي تحد من حرية الأفراد في التصرف والسلوك بما يحمي مصلحة المجتمع ويصونه. فإن حريتهم ليست مطلقة، بل هي مقيدة بأن لا تضر الآخرين. حيث يؤكد هنا الحديث القاعدة الفقهية (يتحمل الضرر الخاص لدفع ضرر عام)، والذي بموجبه يسمح بوقف أي ممارسة فردية ضارة بمصلحة المجموع.

د. نرى أن الحديث يضع في تشبيه رائع تصورًا مفيداً لحماية البيئة. فركاب السفينة هم سكان الأرض، والسفينة هي الحياة والبيئة التي يعيش فيها الناس، فكما ليس لأحد من ركاب السفينة أن يخرق أي خرق فيها باسم الحرية الفردية لئلا تغرق السفينة بركابها أجمعين، فكذلك البيئة التي تأوينا جميعاً فليس لأي أحد من سكان الأرض الحق في تلويثها أو الإضرار بها، لأن عواقبها سيلحق بنا جميعاً.

7. طائر وفراخها:

الحديث النبوي: (... فَبَيْنَا نَحْنُ عِنْدَهُ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ عَلَيْهِ كِسَاءٌ وَفِي يَدِهِ شَيْءٌ قَدْ الْتَفَّ عَلَيْهِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُكَ أَقْبَلْتُ إِلَيْكَ فَمَرَرْتُ بِغَيْضَةِ شَجَرٍ فَسَمِعْتُ فِيهَا أَصْوَاتَ فِرَاخِ طَائِرٍ فَأَخَذْتُهُنَّ فَوَضَعْتُهُنَّ فِي كِسَائِي فَجَاءَتْ أُمُّهُنَّ فَاسْتَدَارَتْ عَلَى رَأْسِي فَكَشَفْتُ لَهَا عَنْهُنَّ فَوَقَعَتْ عَلَيْهِنَّ مَعَهُنَّ فَلَفَفْتُهُنَّ بِكِسَائِي فَهُنَّ أُولَاءِ مَعِي قَالَ ضَعْهُنَّ عَنْكَ فَوَضَعْتُهُنَّ وَأَبَتْ أُمُّهُنَّ إِلَّا لُزُومَهُنَّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ أَتَعْجَبُونَ لِرُحْمِ أُمِّ الْأَفْرَاخِ فِرَاخَهَا قَالُوا نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فَوَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ أُمِّ الْأَفْرَاخِ بِفِرَاخِهَا ارْجِعْ بِهِنَّ حَتَّى تَضَعَهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُنَّ وَأُمُّهُنَّ مَعَهُنَّ فَرَجَعَ بِهِنَّ)[2].

(1) سنن الترمذي، كتاب الفتن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب منه (رقم 2173). (صححه الشيخ الألباني في صحيح الترمذي).

(2) سنن أبي داود ، كتاب الجنائز، باب الأمراض المكفرة للذنوب (رقم 3089). هذا الحديث سكت عنه أبوداود [وقد قال في رسالته لأهل مكة كل ما سكت عنه فهو صالح]، فيما حسنه ابن حجر العسقلاني في تخريج مشكاة المصابيح، بينما الشيخ الألباني ضعف الحديث.

□□□□□□ □□□□□□□ 14-1.indd 174 8/24/17 8:34 AM

الدروس البيئية المستفادة:

أ. الحديث يؤكد لنا الرحمة النبوية بالحيوان. فهذا النبي الرحمة المهداة لا يقبل إلحاق أي ضررٍ بالحيوان، أكان صغيراً أم كبيراً، وتحت أي مبررٍ كان. والملاحظ في هذا الحديث أنه لم يطلب من الرجل إطلاق حرية الفراخ لتذهب في سبيلها، بل ألزمه بإعادتهم إلى موقعهم الأصلي (ارْجِعْ بِهِنَّ حَتَّى تَضَعَهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُنَّ وَأُمُّهُنَّ مَعَهُنَّ)، فقد كان نبي الرحمة هنا حريص على سلامة هذه الفراخ وبقائهم على قيد الحياة، فإعادتهم إلى عشهم، هو الأضمن للحفاظ على سلامتهم.

ب. الحديث يعلم الإنسان أن الحيوان كائن له عاطفة ورحمة، وذلك من خلال وصفه مدى رحمة الطائر أم الأفراخ بفراخها (فَوَضَعْتُهُنَّ فِي كِسَائِي فَجَاءَتْ أُمُّهُنَّ فَاسْتَدَارَتْ عَلَى رَأْسِي فَكَشَفْتُ لَهَا عَنْهُنَّ فَوَقَعَتْ عَلَيْهِنَّ مَعَهُنَّ فَلَفَفْتُهُنَّ بِكِسَائِي)، (وَأَبَتْ أُمُّهُنَّ إِلَّا لُزُومَهُنَّ).

ج. الحديث يوضح استفادة الرسول صلى الله عليه وسلم من هذا المشهد البيئي وهو رحمة أم الافراخ بفراخها، للوصول إلى مشهد أو معني إيماني وهو رحمة الله بعباده (فَوَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ أُمِّ الْأَفْرَاخِ بِفِرَاخِهَا).

د. في الحديث إشارة إلى ضرورة إصلاح الضرر وإعادة الوضع على ما كان عليه (فَرَجِّعْ بِهِنَّ). فأي فرد يسبب في ضررٍ بيئي أيا كان نوعه، عليه أن يصلح ضرره، أو يلزمه ولي الأمر بذلك.

8. الغيث النافع:

الحديث النبوي: (إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِيَ اللَّهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ)[1].

الدروس البيئية المستفادة:

أ. جاء في الحديث وصف دقيق من الرسول صلى الله عليه وسلم لأنظمة بيئية وتأثيراتها المختلفة: (طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَأَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ)، (وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتْ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا)، (طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَأً). مما يبين قوة الملاحظة البيئية لدى

(1) صحيح مسلم ، كتاب الفضائل ، باب بيان مثل ما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم (رقم 2282).

14-1.indd 175 8/24/17 8:34 AM

الرسول وعبادة التفكير فيما خلقه الله. فما أحوجنا إلى تقليد نبينا في هذا المضمار، مع الحرص على الاستزادة من المعرفة البيئية.

ب. نجد في الحديث الاستفادة من البيئة المحيطة في شرح أبعاد ايمانية. حيث تم توضيح الفرق بين من انتفع من الهدى والعلم الذي بعث به النبي صلى الله عليه وسلم ومن لم ينتفع به، وذلك من خلال التشبيه بالفرق بين النظام البيئي الحيوي النافع لمعيشة الناس والنظام البيئي غير النافع.

ج. واذا كان يوجب علينا اتباع الهدى والعلم الذي بعث به النبي صلى الله عليه وسلم والانتفاع به. فإن ما يشبهه بحسب الحديث وهو النظام البيئي الحيوي النافع لمعيشة الناس، ينبغي التعامل معه بالمثل، من حيث الانتفاع به في حياتنا المعيشية، ولا يستقيم الانتفاع من هذا النظام مع الإضرار به وتلويثه.

المبحث الثالث: الرقابة على السلوك تجاه البيئة في ضوء السنة النبوية

إن المنهيات والمأمورات في الشريعة الإسلامية، وجدت للتطبيق، وقد كان المسلمون عامتهم يلتزمون بها طواعية في إطار الرقابة الذاتية. وأما من كان تسول لهم أنفسهم مخالفتها، فلم يترك لهم المجال في هذا المجتمع الإسلامي السائر على الهدى النبوي، فظهر هناك ما يسمى بجهاز أو ولاية الحسبة والتي تمنح المحتسبين سلطة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وبما أن مهام الحسبة اشتملت على الجوانب البيئية، فإننا في هذا المبحث سنتناول الحسبة كنظام رقابي بيئي، مع تبيان نماذج من تطبيقاتها البيئية.

أولاً: الحسبة كنظام للرقابة البيئية:

تم في المجتمع الإسلامي السائر على الهدى النبوي، تطبيق ما يسمى بجهاز أو ولاية الحسبة والتي تمنح المحتسبين سلطة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد كانت الجوانب البيئية من أهم مهام المحتسبين، مما جعل من الحسبة تشكل نظام أو أداة هامة للرقابة البيئية.

عرّف جمهور الفقهاء الحسبة بأنها: «الأمر بالمعروف الذي ظهر تركه والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله»[1]. فيما عرف أبن خلدون الحسبة بأنها: «وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو فرض على القائم بأمور المسلمين يعين لذلك من يراه أهلا له، فيتعين فرضه عليه، ويتخذ الأعوان على ذلك، ويبحث عن المنكرات، ويعزر ويؤدب على قدرها، ويحمل الناس على المصالح العامة ...»[2].

(1) نزية حماد، معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، المعهد العالمي للفكر الإسلامي فرجينيا، الولايات المتحدة، ط1، 1993، ص 120.

(2) أبن خلدون، المقدمة، دار الكتاب اللبناني، مجلد1، 1979، ص 398.

14-1.indd 176 8/24/17 8:34 AM

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم أول من احتسب على المنكر في أمته، وحرم الفساد والغش في ملته. حيث يرجع بعض الأصل التاريخي للحسبة إلى ما جاء في هذا الحديث النبوي: (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي) [1]. واستعمل الرسول صلى الله عليه وسلم سعيد بن سعيد بن العاص بعد الفتح على سوق مكة. ثم تعاقب الأمر في عهد الخلفاء الراشدين في أن يولوا من يتولى مراقبة الأسواق أو أن يتولوا ذلك هم بأنفسهم وأصبحت الحسبة في التاريخ الإسلامي مؤسسة من مؤسسات الدولة لها نظامها والمختصون بها.

ويشترط في المحتسب أن يكون فقهياً عارفاً بالأحكام الشرعية المتعلقة بوظيفته، وتتضمن مسئوليته مراقبة الأسواق والطرقات والمباني ومجاري المياه والحمى وغيرها. ومن ضمن هذه المسئولية الإشراف على المقاييس والمواصفات المتعلقة بالأمن والنظافة وإزالة الفضلات والنفايات ودرء الأخطار والأضرار ومنع العدوان على الحمى والنهي عن إيذاء الحيوانات وإساءة معاملتها. والمسئولية عن تقدير الأضرار ووضع التعازير والعقوبات المناسبة لها. وإضافة إلى ذلك كانت للمحتسب سلطة تقديرية لأخذ التدابير اللازمة لتحقيق المصالح العامة[2].

ثانياً: تطبيقات الحسبة في الجوانب البيئية:

إن دراسة كتب الحسبة تشير إلى أن العناية بالبيئة التي يعيش فيها الإنسان وتنقيتها من الخبائث التي تضر به وبصحته كانت أحد الأهداف المركزية التي ينبغي على المحتسب أن يوليها عناية خاصة، وذلك لأن الشريعة الإسلامية حرصت على النظافة والتطهر وحذرت المسلمين من تلويث أنفسهم وبيئتهم، وعدت التلوث مرتعًا خصبًا للنجاسة والخبائث التي تسمى في الوقت الحاضر بالميكروبات[3].

ومن نماذج تطبيقات الحسبة في الجوانب البيئية الاحتساب على التلوث الهوائي. حيث يذكر الشيرازي في كتابه (نهاية الرتبة في طلب الحسبة) أن المحتسب كان يهتم بأن ترفع أسقف حوانيت الخبازين وأن تفتح أبوابها، ويجعل في سقوف الأفران منافس واسعة يخرج منها الدخان لئلا يتضرر بذلك السكان. كما كان المحتسب يمنع الصباغين من وضع أفرانهم في الشوارع لما تبعثه من أدخنة تضايق المارة والسكان.

ووصف الشيرازي في كتابه ايضاً الاحتساب على التلوث الغذائي، قائلاً: (ويكتب المحتسب

(1) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم من غشنا فليس منا (رقم 102).

(2) الاتحاد الدولي لصون الطبيعة ومصلحة الأرصاد وحماية البيئة السعودية، حماية البيئة في الإسلام، سلسلة دراسات النظم والقوانين، رقم 20، الطبعة الثانية الموسعة، 1995، ص 28.

(3) محمود الحاج قاسم محمد، الطب الوقائي النبوي، الموصل، 1988، ص9.

14-1.indd 177 8/24/17 8:34 AM

في دفتره أسماء الخبازين ومواضع حوانيتهم، فإن الحاجة تدعوه إلى معرفتهم، ويأمرهم بنظافة أوعية الماء وتغطيتها، وغسيل المعاجن ونظافتها، وما يغطي به الخبز وما يحمل عليه. ولا يعجن العجان بقدميه، ولا بركبتيه، ولا بمرفقيه، لأن في ذلك مهانة للطعام، وربما قطر في العجين شئ من عرق أبطيه، وبدنه، فلا يعجن إلا وعليه ملعبه أو بشت مقطوع الأكمام، ويكون ملثماً أيضاً، لأنه ربما عطس أو تكلم، فقطر شئ من بصاقه أو مخاطه في العجين، ويشد على جبينه عصابة بيضاء، لئلا يغرق فيقطر منه شئ في العجين، ويحلق شعر ذراعيه لئلا يسقط منه شئي في العجين، وإذا عجن في النهار فليكن عنده إنسان في يده مذبة يطرد عنه الذباب، هذا كله بعد نخل الدقيق بالمناخل السفيقه مراراً)[1].

وهناك الاحتساب على الحيوانات، حيث كان من عمل المحتسب أن ينظر إن كان صاحب الدابة يعذبها ويحملها ما لا تطيق؛ فيحتسب عليه ويأمره وينهاه. وكان هذا في الأمة أمراً معروفاً؛ فكانوا يمشون في الأسواق، فإذا رأوا دابّة عليها حمل ثقيل، أوقفوا صاحبها وأنزلوا من فوقها بعض الحمل، وقالوا: احمل هذا أنت أو استأجر دابة أخرى. ولا تحملها ما لا تطيق[2].

وقد اعتنت كتب الحسبة بإبراز الاحتساب على الحيوانات، ومنها كتاب «معالم القربة لأحكام الحسبة – لابن القرشي». وهذه إشارات موجزة لما ورد بهذا الكتاب حول الاحتساب على الحيوانات[3]:

1. الرقابة على قيام أصحاب البهائم بعلفها وسقيها والإنفاق عليها.
2. يمنع المحتسب البياعين من أن يضعوا الأحمال على ظهور الدواب –وهي واقفة- لأنها إذا وقفت والأحمال عليها أضرتها وكان ذلك تعذيبا لها.
3. ينبغي لأصحاب الدواب أن يتقوا الله سبحانه وتعالى في استعمالها وأن يريحوها كل يوم وليلة لحاجتها إلى الراحة والسكون، وأن لا يستعمل الدابة في طحن أكثر من ربع ويبة (الويبة المصرية زنتها أربعون رطلا).
4. في الرقابة على الجزارين، أن لا يذبحوا بسكين كالة لأن في ذلك تعذيباً للحيوان.
5. في الرقابة على البياطرة جاء: «علاج الحيوان أصعب علاجا من أمراض الآدميين لأن الدواب ليس لها نطق تعبر به عما تجد من المرض والألم، وإنما يستدل عليها بالحس والنظر، فيحتاج البيطار إلى حسن بصيرة بعلل الدواب وعلاجها فلا يتعاطى

(1) عبدالرحمن بن نصر الشيزري، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1946م، ص 22.

(2) سفر بن عبدالرحمن الحوالي، محاضرة حول نظام الحسبة في الإسلام، من الموقع الإلكتروني http://www.alhawali.com/index.cfm?method=home.showcontent&contentID=581

(3) محمد عبد الحليم عمر، رعاية الحيوان بين الإسلام والواقع المعاصر. http://iefpedia.com/arab/?p=23330

□□□□□□ □□□□□□□ 14-1.indd 178 8/24/17 8:34 AM

البيطـرة إلا مـن لـه معرفـة وخبـرة».

6. ويمنع المحتسب من خصي البهائم.

7. ويمنع المحتسب من نطاح الكباش ونقار الديوك (التحريش بين البهائم).

الخلاصة:

بالاستناد لإحدى مصادر الشريعة الإسلامية وهي السنة النبوية، اختصت هذه الدراسة في إبراز معالم المنهج النبوي في تعزيز السلوك الإيجابي تجاه البيئة ومكوناتها، وبينت الجوانب الآتية:

1. اشـتملت السـنة النبويـة علـى منهيـات ومأمـورات ذات علاقـة بحمايـة البيئـة، التـي تعـد بمنزلـة نصـوص قانونيـة بيئيـة، إلا أنهـا تتميـز عـن نصـوص القوانيـن البيئيـة الوضعيـة، بأنهـا تكتسـب صفـة الإلـزام الدينـي المرتبـط بالأجـر والعقـاب فـي الآخـرة. كمـا نجـد أن للقضايـا والاهتمامـات البيئيـة الحديثـة مثـل الحفـاظ علـى التنـوع الإحيائـي وتحقيـق التنميـة المسـتدامة إسـنادات داعمـة لهـا فـي السـنة النبويـة.

2. لـم تكتـف السـنة النبويـة بتوجيـه الأوامـر والتعليمـات فيمـا يتعلـق بحمايـة البيئـة، بل اشـتملت علـى قواعـد وأسـاليب تربويـة تفيـد فـي تعزيـز السـلوك الإيجابـي تجـاه البيئـة ومكوناتهـا. حيـث نجـد أن الهـدى النبـوي كان لـه تأثيرٌ فـي تربيـة أوائـل المسـلمين تربيـة بيئيـة، حيـث تمثـل أثـر هـذه التربيـة عليهـم بأنهـم كانـوا رفقـاء ومحسـنين بـكل عناصـر ومكونـات البيئـة.

3. تم في المجتمع الإسلامي السائر على الهدى النبوي، تطبيق ما يسمى بجهاز أو ولاية الحسبة والتي تمنح المحتسبين سلطة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقد كانت الجوانب البيئية من أهم مهام المحتسبين، مما جعل الحسبة تشكل أداة هامة للرقابة البيئية.

وبنـاءً علـى مـا تـم التوصـل إليـه فـي الدراسـة، ولغـرض إعـادة الاسـتفادة مـن المنهـج النبـوي فـي تعزيـز السـلوك الإيجابـي تجـاه البيئـة ومكوناتهـا فـي الواقـع المعاصـر، نوصـى بالآتـي:

1. إعـداد منهجيـة تربويـة جديـدة فـي التربيـة البيئيـة، والـذي يمكـن تسـميته بالتربيـة البيئيـة الإسـلامية. وبحيـث تقـوم هـذه المنهجيـة على الهدى النبوي في مجال التربية البيئة، وتسترشـد بالطبـع بنـور القـرآن الكريـم. فـلا شـك أن مختصـي التربيـة فـي البلـدان العربيـة والاسـلامية سـيجدون أمامهـم مضمـاراً واسـعاً للاسـتفادة مـن شـريعتهم الدينية فـي التربية البيئيـة. فهم إن رجعـوا إلـى السـنة النبويـة مثـلاً، سـيجدون أمامهـم نصائح ودروسـاً بيئيـة جاهـزة، يمكن لهم اسـتخدامها مباشـرة فـي التوعيـة والتربيـة البيئيـة، وليـس عليهم بـذل جهود كبيرة فـي الإقناع بتطبيقهـا، وذلـك لكـون هـذه النصائح أساسـاً مكتسـبة صفـة الإلـزام الديني.

2. العمـل علـى إعـادة تطبيـق نظـام الحسـبة الإسـلامي كنظـام رقابـي بيئـي. حيـث يتوقـع أن يعمـل ذلـك علـى معالجـة ضعـف الرقابـة البيئيـة فـي العالـم العربـي والإسـلامي، كمـا يتوقـع

14-1.indd 179 8/24/17 8:34 AM

أن يكـون لإعـادة تطبيـق نظـام الحسـبة الإسـلامي والتـي يكتسـب فيهـا المحتسـب قوتـه الرقابيـة والإلزاميـة مـن الحاكـم مباشـرة دورٌ مهـمٌ فـي تعزيـز فعاليـة القوانيـن البيئيـة فـي البلـدان العربيـة والإسـلامية مـن خـلال تمكيـن قـوة الإلـزام بتطبيقهـا.

قائمة المصادر والمراجع:

إبراهيم عصمت مطاوع، التربية البيئية - دراسة نظرية تطبيقية، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، ١٩٨٦.

ابن خلدون، المقدمة، دار الكتاب اللبناني، مجلد1، 1979.

ابـن القيـم الجوزيـة، زاد المعـاد فـي هدي خير العباد، مؤسسـة الرسـالة - مكتبة المنار الإسـلامية - بيـروت – الكويت، الطبعة 14، 1986م.

الاتحـاد الدولـي لصـون الطبيعـة ومصلحـة الأرصـاد وحمايـة البيئـة السـعودية، حمايـة البيئـة فـي الإسـلام، سلسـلة دراسـات النظـم والقوانيـن، رقـم 20، الطبعـة الثانيـة الموسـعة، 1995.

الخطابـي، معالـم السـنن (شـرح سـنن الإمـام أبـي داود)، المحقـق محمـد راغـب الصحـاح، المطبعـة العلميـة، حلـب، الطبعـة الأولـى،1934م.

سفر بن عبدالرحمن الحوالي، محاضرة حول نظام الحسبة في الإسلام، من الموقع الالكتروني

http://www.alhawali.com/index.cfm?method=home.showcontent&contentID=581

رشـيد الحمـد ومحمـد صبارينـي، البيئة ومشـكلاتها عالم المعرفة، المجلـس الوطني للثقافة والفنـون والآداب، الكويت، ط2، 1984.

زين الدين عبد المقصود، البيئة والإنسان، علاقات ومشكلات، القاهرة، دار عطوة، 1981.

عبدالرحمن بن ناصر السعدي، بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار.

عبدالرحمـن بـن نصـر الشـيزري، نهايـة الرتبـة في طلـب الحسـبة، مطبعة لجنـة التأليـف والترجمة والنشـر، القاهرة، 1946م.

القانـون الاتحـادي بشـأن حمايـة البيئـة وتنميتهـا(1999)، رقـم (24) لسـنة 1999، دولـة الامـارات العربيـة المتحـدة، الجريـدة الرسـمية، عـدد رقـم (340)، السـنة الثامنـة والعشـرون، أكتوبـر 1999م.

القانـون اليمنـي بشـأن حمايـة البيئـة (1995)، رقـم (26) لسـنة 1995، الجمهوريـة اليمنيـة، الجريـدة الرسـمية، العدد 20، صنعـاء، 1995.

كمـال الديـن حسـن البتانونـي، المعـارف التراثيـة في صحـاري الوطن العربي، سلسـلة عالـم البيئة، رقـم (5)، إصدار جائـزة زايـد الدولية للبيئـة، دبي، 2006.

اللجنـة العالميـة للبيئـة والتنميـة، مسـتقبلنا المشـترك، سلسـلة عالـم المعرفـة، رقـم (142)، إصـدار المجلـس الوطنـي للثقافـة والفنـون والآداب، الكويـت، 1989.

النظـام العـام للبيئـة لمجلـس التعـاون لـدول الخليـج العربيـة (1421ه)، الصـادر بالمرسـوم الملكـي رقـم م/3 فـي 4/2/1421هـ المبنـى علـى قـرار مجلـس الـوزراء رقـم (23) وتاريـخ 26/1/1421هـ.

النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، 1392هـ.

□□□□□□ □□□□□□□ 14-1.indd 180 8/24/17 8:34 AM

محمد جبر الألفي، البيئة والمحافظة عليها من منظور إسلامي، مجمع الفقه الإسلامي الدولي، منظمة المؤتمر الإسلامي، الدورة التاسعة عشرة، إمارة الشارقة، 26 - 30 أبريل 2009.

محمد عبد الحليم عمر، رعاية الحيوان بين الإسلام والواقع المعاصر. http://iefpedia.com/arab/?p=23330

محمد عبد القادر الفقي، ركائز التنمية المستدامة وحماية البيئة في السنة النبوية، الندوة العلمية الدولية الثالثة للحديث الشريف حول: القيم الحضارية في السنة النبوية، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي، 22 - 25 /4/2007.

محمد عبدالقادر الفقي، دور الوقف الإسلامي في التنمية وحماية البيئة، مجلة الوعي الإسلامي، تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، العدد 493، 2006.

محمد بن يوسف الصالحي الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، لجنة إحياء التراث الإسلامي- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 1994م،

محمود الحاج قاسم محمد، الطب الوقائي النبوي، الموصل، 1988.

مها سليمان أحمد أبونمر، التميز في ضوء السنة النبوية – دراسة موضوعية، دراسة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزه، 2011.

موقع الإسلام الدعوي والارشادي http://www.al-islam.com/Default.aspx?PageID=590

نزية حماد، معجم المصطلحات الاقتصادية في لغة الفقهاء، المعهد العالمي للفكر الإسلامي فرجينيا، الولايات المتحدة، ط1، 1993.

يوسف القرضاوي، رعاية البيئة في شريعة الإسلام، دار الشروق، القاهرة، 2001.

14-1.indd 181 8/24/17 8:34 AM

The Prophet's Approach in Promoting Positive Behavior Towards the Environment

Adel Abdul Rashid Abdul Razzeq

Enviromental Protection Agency

Aden - Yemen

Abstract:

Based on one of the sources of Islamic law, the Sunnah of the Prophet Mohammed (BPUH), this study highlights the prophetic approach in promoting positive behavior towards the environment and its components. The first part of the study gives a general overview of the importance given to the environment and the obligation to protect it according to Sunnah. The second deals with the existence of educational rules and methods in the Prophetic Sunnah that can be used to promote positive behavior towards the environment and its components. As for the third part, it highlights 'al-Hisbaah' (the promotion of virtue and prevention of vice) as a regulatory system of behaviour towards the environment.

Keywords: environment, environmental behavior, environmental education, Sunnah.

□□□□□□ □□□□□□□ 14-1.indd 182 8/24/17 8:34 AM